تاريخ نجد

تأليف

السيد محمود شكري الآلوسي

عليه الرحمه

عني بتحقيقه

محمد بهجة الأثري

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة

تاريخ نجد

تأليف

السيد محمود شكري الآلوسي

عليه الرحمة

عني بتحقيقه

محمد بهجة الأثري

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١

ذكري الأمام الألوسي

كتاب تاريخي، أدبي، اجتماعي، انتقادي

تناول فيه مؤلفه شرح سيرة عالم العراق الكبير الامام السيد محمود شكري الآلوسي عليه الرحمة العلمية والعملية على أسلوب تحليلى انتقادى، وقدم عليها مقدمة لمشايخه وللتراجم ١١ نفرا من فطاحل الاسرة الآلوسية تلك الأسرة التى رفعت ذكرى العراق بمآثرها الجليلة الخالدة: كالامام العالم المفسر والكاتب النحرير السيد محمود شهاب الدين، والعالم المصلح الكبير السيد نعمان خير الدين، والكاتب الاديب البارع السيد عبد الله بهاء الدين، والشاعر المفلق السيد عبد الحميد، والعالم الاديب المتفنن لسيد علي علاء الدين وغيرهم ...

وختمة بأبدع ماقيل فى السيد الآلوسي من روائع المنثور والمنظوم لاشهر العلماء والأدباء فى العراق والكويت والشام ومصر وباريس. فهو خير كتاب يمثل روح الادب فى القرن الغابر والحاضر.

تأليف

محمد بهجة الأثرى

﴿ التعريف ﴾

بكتاب

تاريخ نجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين.

وبعد فهذا كتاب ممتع، جزيل النفع؛ طالما تاقت نفوس الباحثين إلى درس موضوعه، واشرأبت الأنظار إلى الوقوف على مايضمه بين دفتيه من المباحث الرائعة ...

كتاب شرح لنا فيه مؤلفه استاذنا عالم العراق ﴿السيد محمود شكري الألوسي﴾ – رحمه الله تعالى – تاريخ قسم من الأمة العربية عظيم، جهل أكثر الناس – وأكثر الناس لايعلمون – حقيقته وكنهه، ووقعوا في لبس من أمره، حتى كثرت عليه أقاويلهم، وكاد تتلاشى أنوار الحقيقة في ديجور ظلام الملبسين.. ووا أسفاه!

كتاب أبان فيه مؤلفه حقية ماعليه هذا الشعب الإسلامي؛ معززاً بأجلى الأدلة؛ ومؤيداً بأمتن الحجج، وأحكم البراهين التى لايكاد يتطرق إلى مقدماتها نقص لو أن ولعل وليت؛ فاذا ماتدبره اخواننا المسلمون في أنحاء المعمورة – ولاسيما العرب الكرام – رجونا أن يزول من صدورهم نغل الحقد، ووغر البغضاء، وداء القطيعة والتدابر الذي أوهن قوانا، ومزق أشلاء جامعتنا الاسلامية وقوميتنا العربية إرباً إرباً حتى تركنا كالشذاذ شذر مذر: لا راية تجمعنا، ولا ظل يحمينا، ولامنزل يؤوينا؛ تجوس خلال ديارنا العلوج، وتسترقنا القوى الغاشمة، وتجتاح ثمارنا هوج الاستبداد؛ وتسومنا الذئاب، سوء العذاب. ونحن نتجرع وزين الآلام وغصص المذلة وصاب الاستعباد: لانكاد نخب ونضع. أو نحط ونرفع ... وأن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم!

كتاب تكفل بشرح أطوار هذا الشعب العربي الصميم واداراته، وأخلاقه وعاداته؛ وبيان خطط بلاده القديمة والحديثة، وماحدث فيها من الحروب والانقلابات ... ... كما تكفل بشرح الدعوة الاسلامية السلفية التي نبزها الصيّادون – أصلحهم الله! – (بالوهّابيّة) تنفيراً لقلوب جماهير العوام التي تستأنس بظلام الجهل وتتأذى من نور العلم والهدى لتتم لهم بغفلتهم لذة الاستفادة، وادراك المآرب الخبيثة: كلّ ذلك بعبارة وجيزة، وأسلوب سلس سائغ المشرب تفهمه العامة ولاتنكره الخاصة. هذا عدا ماجاء فيه استطراداً من الاشعار الرائقة، وبعض الفصول التاريخية. والمناظرات العلمية. وكشف حقيقة بعض البلاد المجاوره تصريحاً أو تلويحاً ممّا ستقف عليه في تضاعيفه.

وعلى الجملة فهو كتاب مفيد نادر المثال في موضوعه وإنْ لم يكن مُنْشأً على الأسلوب التحليليّ الذي يتوخاه أغلب كتاب العربية اليوم ويعيبون الحلبة التي تقدمتهم على تجافيها عنه في الكتابة والتأليف، وحسبه فضلاً وفخراً أنه من أوّل المؤلفات التي كتبت عن تلك الديار النائية، والمنزوية عن العالم بالأمس، وأنه سيكون حتماً مرجعهمْ وعمدتهم في خوض عباب البحث عن هذه الديار ...

ولقد دعاني إلى إخراجه من مكنونات الغيب إلى عالم النشر مسيس الحاجة اليه في معرفة تاريخ أمة عربية عظيمة لايعرف الناس عنها إلا أقاويل مرقشة تلوكها أشداقهم وترمي بها أفواههم في الرسائل والصحف، وحكايات باردة لانصيب لها من التحقيق والعلم اليقيني يتفيهق بها الدّملقانيّون من أعداء الاصلاح وأنصار الجمود، ثم الوفاء مع مؤلفه رحمه الله ذلك الرجل العظيم الذي تعهّدني بفضله، وصقل فكري، وقوّم أودي

وأرضعني لبان العلم والأدب مدة من الزمن ليست بالقليلة من غير جزاء إلي أن أتاه اليقين جزاه الله عنا وعن العلم بقدر أياديه العظيمة عليّ؛ ونفعنا بهديه ونفحات آثاره ميتاً كما نفعنا به حياً حيث كنّا وروّاد بالأدب نروح إلى ناديه خماصاً ونغدو بطانا ...

وقد كان المظنون أن هذا الكتاب قد انتشلته أيدى العوادي في جملة ما انتشلته من آثار المؤلف يوم نفى عن بغداد جزاء دعوته إلى الاصلاح والتحرر من أغلال التقليد الاعمى، ثم أسعدنا الحظ مؤخراً بالعثور بين مسودات المؤلف وأوراقه عليه مسوداً غير مبيض، وناقصاً غير تام، فحمدنا على كل حال مغبة العناء في التفتيش عنه، وأعملنا الهمة حالا في نسخه ضناً به أن يبيدَ فيذهب عناء مدّ بجهِ الله أدراج الرياح، ويحرم التاريخ كتاباً من أصدق كتبه وأشدها حاجة إليه في مثل هذا اليوم. فيما أنا جادٌ في الانتساخ عنّ لى أن أعيد كرة البحث والتنقيب في أوراق المؤلف عسى أن أعثر على مايكون وصلةً ومتمما للكتاب فما كان إلا أن أسعدني الحظ ثانياً فألفيت في أواخر مسودة الجزء الأول من كتابه «تاريخ بغداد» فصولا عن «القبائل الساكنة اليوم في نجد» و«أمراء نجد وذكر أنسابهم وسائر أحوالهم» و«مكاتبات أمراء نجد من آل سعود» و«بعض من اشتهر من علماء نجد الأعلام وماحدث منهم» فاغتبطت بها كلّ الاغتباط وألحقتها بالكتاب. وهى لعمر الحق به ألصق ولا مناسبة لها هنالك. والظاهر أن المؤلف رحمة الله انما كتبها في تاريخ بغدادا سهواً منه وغفلة وسبحان من لايسهو ولايغفل.

وقد كان قليل العناية بمؤلفاته لايتعهدها بالتهذيب والتشذيب، ولايكاد يلفت إليها نظره الا بالحاح السائلين فلذلك بقى أكثرها من نفثة القلم الأولى

لم يتطرقه أقل اصلاح، وإنني لم أشأ أن أتعرض هنا لسوى تصحيح سهو القلم والتنبيه على صحة بعض التحريفات* والأغلاط في الهامش مع تعليق ما لابد منه ...

وقد كنت أود أن ألحق – من عندي – فصولا مهمة في سياسة البلاد النجدية الحديثة وتطوراتها الجديدة ... الخ لولا موانع ثبطتني الآن عن كتابتها ونشرها فأرجأتها إلى أجلها ولكل كتاب أجل ولكل أجل كتاب والله يقلّبها كيف يشاء،

بغداد : سلخ رجب سنة ١٣٤٣ هـ

محمد بهجة الاثرى

---

* ﴿ تنبيه﴾ اعتمدنا في تصحيح التحريفات في أسماء البلاد والقبائل على نجدي ثقة، ووضعنا ازاءها هذه السمة (*). وبقيت كلمات لم نهتد إلى صحتها ... وقد راعى الاستاذ رحمة الله في كتابه غالب الأسماء التلفظ أي كتبها حسبما يلفظ بها من غير التفات إلى قواعد الاملاء المرعية فأبقيناها على حالتها الاكليمات جرى بها القلم على الوجه الصحيح عفواً...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مصرّف الدُّهور والأعوام، ومبدل الامور والاحكام، ومغير أطوار الامم والنظام. والصلاة والسلام على خير الانام، ومصباح الظلام، الذي جاء بشريعة غرّاءَ لايعترى عروتها الوثقى أنفصام. وعلى آله وأصحابه الهداة الاعلام الذين هذبوا أعمالهم فكانت غرة وجه الإسلام، على ممرّ الايام.

أما بعد فيقول المفتقر إليه تعالى (محمود شكريّ بن عبد الله الحسيني البغدادي)، أحسن الله تعالى اليه فى اولاه وأخراه ووالى عليه النعم والايادي: إنني طالما اشتقت الى الوقوف على ما اشتملت عليه قطعة نجد من البلاد، وتقّت إلى كشف اللثام عن أحوال سكنتها الكرام الامجاد. فإن معرفة حقيقة القوم، مما خفيت على كثير من الناس إلى اليوم. فتصديت إلى تدوين ماوصلنى منه أخبار الرواة الاخيار، عما عليه هاتيك البلاد والامصار. مما أرجو به كشف الحقيقة، وايضاح الرموز الدقيقة. سائلا منه التوفيق في القول والعمل، والعصمة من الزيغ والزلل، وتحقيق ماقصدناه من الامل.

« نجد وبيان مايراد به »

إعلم أن لفظ نجد في اللغة ما ارتفع من الأرض وما خلف الغور أي تهامة: فأعلى نجد تهامة واليمن وأسفله العراق والشام وأوله من جهة الحجاز ذات عرق فهو بين تهامة واليمن والعراق والشام والحجاز. وفى (نهاية الارب): ان نجداً هى الناحية التي بين الحجاز والعراق. والحجاز هو مابين نجد وتهامة. وهى جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام

ويسمى حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة . فعلى هذا لايكون أعلاه تهامة لوقوع الحجاز فاصلا بينها وبين نجد. وقال الاصبهاني: انما سمى الحجاز حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد فمكة تهامية والمدينة حجازية وكذا الطائف. وقال (عمارة) : ما سال من حرة بنى سليم وحرة ليلاء فهو الغور حتى يقطعه البحر وما سال من ذات عرق مغربا فهو الحجاز الى أن تقطعه تهامة وهو حجاز أسود يحجز بين نجد وتهامة، وما سال من ذات عرق مقبلا فهو نجد الى أن يقطعه العراق. وقال (الاصمعي) انما سميت الحجاز حجازاً لانها احتجزت بالجبال : وقال (الاصبهاني) : أيضاً نقلا عن ابن الاعرابي : نجد اسمان السافلة والعالية فالسافلة ما ولى العراق والعالية ما ولى الحجاز وتهامة. ونقل عن الأصمعى أنه قال : اذا جزت ذات عرق إلى البحر فأنت فى تهامة، وإذا جزت وجرة وغمرة فأنت في نجد إلى أن تبلغ العذيب. وغمرة في طريق الكوفة. ووجرة فى طريق البصرة. إلى هنا ذكر نجد. (قال) ويقول بعض الناس اذا بلغت العذيب من ناحية الكوفة وهى من الكوفة على مرحلة فأنت فى نجد إلى أن تبلغ حد تهامة. ونقل عن الاصمعى انه قال : اذا جاوزت عجلزاً من ناحية البصرة فقد انجدت وإذا بلغت من ناحية الكوفة سميرآء أو دونها فقد انجدت إلى أن تبلغ ذات عرق فاذا تصوبت فى ثنايا ذات عرق فقد اتهمت ويقال اذا خرجت من المدينة على مشرقها أفضل الصلاة وأكمل السلام فانت منجد إلى أن تتصوب فى مدارج العرج فاذا تصوبت فيها فقد اتهمت الى مكة المكرمة. قال ويقول أهل المدينة : أخذت التهامية ام النجدية؟ فالتهامية التى على عسفان والجحفة. والنجدية التى على طريق الرَبَذة. (قال) وللبصرة الى مكة طريقان اما أحدهما فالصحراء عن يسارك وأنت مصعد الى مكة ليالي فاذا ارتفعت فخرجت من فلج فأنت فى الرمل فاذا جاوزت النباج والقريتين فقد

أنجدت وإذا أخذت طريق المنكدر الى كاظمة فثلاث الى كاظمة وثلاث في الدوّ وثلاث في الصمان وثلاث في الدهناء. (وقال) بعضهم : اذا جاوزت الحفر حفر أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه وهو حفر بنى العنبر كان أبو موسى احتفر فيه ركية – فأنت في نجد. (وقال آخرون) : حد نجد من النباج وهو لبني عبد الله بن عامر بن كريز. والبعض يقول : اذا جزت القصيم فأنت في نجد الى أن تبلغ ذات عرق ثم تتهم.

وبعض المتأخرين قال : نجد قطعة عظيمة من جزيرة العرب تحد شمالا ببر الشام وشرقا بعراق العرب والاحساء وجنوباً بالاحقاف واليمامة وغربا بالحجاز. ففي تحديد نجد أقوال كثيرة متقاربه المعنى.

***

وعلى كل الأقوال أن نجداً من احسن أقطار الارض العربية، وأعدلها مزاجا وأرقها هواءً، وأعذبها ماءً، وأخصبها أرضاً، وأنبتها أزهاراً ونباتاً. أوديته كالرياض، وأغواره كالحياض. ولم يزل الشعراء قديماً وحديثاً يترنمون بذكره، ويلهجون بوصف بلاده وقطره، ويعطرون الاندية بنشر خزاماه وعطره. ولابأس بإيراد شئ من ذلك العرار، فأن أحاديث نجد لاتمل بتكرار. قال الأمويّ في نجدياته :

أقول لسعد وهو خلّي بطانة ... وأى عظيم لم أنبّه له سعدا
اذا نكبت نجداً مطاياك لم أبل ... يعيش وان صادفته خصلاً رغدا
تلبث قليلا يرم طرفي بنظرة ... الى ربوات تنبت النفل الجعدا
فانك ان أعرقت والقلب منجد ... ندمت ولم تشمم عراراً ولا رندا
ولم ترد الماء الذى زادك النوى ... وقد ذقت ماء الرافدين به وجدا
أترمى بنا أرض الاعاجم ضلةً ... فتزداد عمن نشتهى قربه بعدا

وهـا أنـا أخـشى والحـوادث جـمـة إذا زرتـهـا أن لاترى بـعـدهـا نجـدا

وقال :

وحي مـن بنـى جـدم(١) بـن بكـر يـزيـرون الـنـقـا ثـغـر الاعــادي
إذا نـزلـوا الحـمـى مـن أرض نجـد كـفـوه تـرقـب الـديم الـغـوادي
أعـاريـب إذا خـضـبـت تـروت ومـا سـريـا أنـابـيـب الـصـعـاد
لـهـم أيـد تـشـد عـرا عـلاهـم بـأطـراف الـمـهـنّدة الحـداد

وقال :

خليلـيّ سيرا بارك الله فيكما فقد شاقنـى مـن أرض عـذرة ريم
بهير القطا لايكلم الأرض وطؤه وما حـازه مـنـه الوشاح هضيم
يدوش بواديـهـا الأراك وعـنـده مـداهـل تـرعـى أهـلـهـا وتـسـيـم

وقال :

وسـرحـة بـربـى نجـد مـهـدلـة أغصـانـهـا فـي غـدير ظـل يـرويـهـا
اذا الصبا نسمت والمزن يهضبها مشى النسيم على أين يناجيها
تقيل فـي ظـلـهـا بـيـضـاء آنسة تكـاد يـنـشـرهـا لـيـنـاً ويـطـويـهـا
سود ذوائبها، بيض ترآئبها، حمر مجاسدها، صفر تراقيها
عارضتها فاتقت طرفي بجارتها كالشمس عارضها غيم يواريها

وقال :

قـفـا بـنـجـد فـسـلـم عـلـى ديـار سـعـاد
فـلـى ربـوع تـروى بـهـا الطلول الصوادي
والـنـاجـيـات الـيـهـا يـخـدن مـيـل الـهـوادي
لـهـا مـن الـشوق هـاد ومـن زفـيـري حـادي
وكـم بـهـا مـن ظـبـآء حـلـت سـرارة وادي

---

(١) كذا والصواب «جشم».

تسبي الاسود بنجل   كالباترات الحداد
كأنها من فتور   مملوءة من رقاد
عارضتها إذ تولت   بها الخدود الغوادي

وقال :

ولولا الهوى سارت اليكم كتيبة   يعضل من نجد بها الحزن والسهل
ولم أستطب شم العرار ولا أتى   بي الرمل حبي أهله، سقى الرمل

وقال :

بمنشط الشيح من نجد لنا وطن   لم تجرد ذكراه إلا حنّ مغترب
إذا رأى الأفق بالظلماء مختمراً   أمسى وناظره بالدمع منتقب
ونشقة من عرار هز لسته   رويحه في سراها مسها لغب
تشفي غليلا بصدري لايزحزحه   دمع تهيب به الأشواق منسكب
والنار بالماء (؟) والهموم لها   في القلب نار بماء الدمع تلهب

وقال :

ودع هذيماً فقد طاف السلو به   وعن قريب تراه يلتوي كمدا
وياهذيم ألا تبكي على وطن   يذيب من أدمعي ذكراه ماجمدا
هلا اقتديت بسعد في صبابته   غداة مدُ لتوديع الحبيب يدا
أتنجدان فؤاداً شيقاً علقت   به الصبابة إن اتهمتما جسداً؛
أم تنقضان عهوداً كنت أبرمها   ان تنقضاها فلا لاقيتما رشداً؛
متى تغيبا ولم يمنعكما كرم   أن تخبرا باحاديث الهوى أحدا
فلا رأت علمي نجد عيونكما   ولا رعى بالحمى نضوا كما أبدا

وقال :

خليليّ هذا ربع ليلى بذي الغضى   سقى الله ليلى والغضى وسقاكما
وقد كنتما لي مسعدين على البكا   فما لكما لاتسعدان أخاكما

أظل وحيداً لا أرى من أحبه — فهل بالحمى لي من خليل سواكما
ولو غاب عني واحد منكما وهت — قوى الصبر لا أوهى الزمان قواكما
فكيف أذود الهم عني تجلداً — وقد غبتما من أرض نجد كلاكما

وقال :

وركب يزجرون على وجاها — بقارعة النقا قلصاً عجالا
فحالت دونهم تلعات نجد — كما واريت بالقرب النصالا
حملن من الظباء العين سرباً — وقد عوضن عن كنس رحالا

وقال :

وفي فؤادي تبوأتْ وطناً — وكان بالأبرقين معهدها
بحيث يلقى الساري مشهرةً — يقضمها المندلي موقدها
يانجد لا أخطأنك غادية — أغزرها للحمى وأجودها
فالطرف مذغبت عنك يسهره — ذكرى ليال قد كان يرقدها

وقال :

تأملت ربع المالكية باللوى — فأذريت دمعي والركائب وقف

وقال :

ذرا اللوم يا ابني سالم ان صبوتي — رمت كلّ لاحٍ من ابائي بمسكت
أمر بحزوى مطرقا خيفة العدى — ولم أر منهم غفلة اتلفت
أيا دهر كم فرقت بين أحبتي — ومانبتغي من شملي المتشتت

وقال :

أقول لصحبي حين كررت نظرة — إلى رملة ميثاء تندى ظلالها
هنالك دار مس أطلالها البلى — حبيب الى نفسي غمناها رضالها
أرى النضرة الأدماء يطربها السرى — اليها وان داني خطاها كلالها
بها غادة تلهي الظباء بنظرة — فتنسى بها الأم الرؤوم غزالها

وقال :

أعائدة تلك الليالي بذي الغضى ... ألا لاوهل يثني من الدهر مامضى

اذا ذكرتها النفس باتت كأنها ... على حد سيف بين جنبي ينتضى

فحنَ رويداً أيها القلب واصطبر ... فلا يدفع الأقدار سخط ولا رضى

وقال :

اذا رأيت الركاب صادرة ... سار بقلبي اليك منجدها

وأم خشف ضلته فانطلقت ... تنشده والهاً وينشدها

فصادفته لقى بمهلكة ... يغص بالضاريات فدفدها

وحاذرتها فاستشمرت وجلاً ... تقرب منه والرعب يبعدها

فتلك مثلي إن زرت منزلة ... أرى مهاها فأين خرّدها

وبين جنبي لوعة وقدت ... وليس الا ظمياء تخمدها

وقال :

ونجد دارها وبه ... شبا الخطية الملد

وبي شوق تلقحه ... تباريح من الوجد

ويبكيني تذكره ... فهوالهفي على نجد

وقال :

ألا من لصب ان تغشته نعسة ... سرى البرق نجدي السنا وهو شائقة

وان لم تؤرقه وعاوده الكرى ... وطيفك يابنت الهلالي طارقه

بليل طويل ينشد النجم صبحه ... فلا الصبح مسبوق ولاالنجم لاحقه

فواهاً ليوم عند ساكنة النقا ... عفا الدهر عنه وهو جم بوائقه

وقال :

وبجسمي ضنى بخصر سليمى ... مثله فهو لايزال نحيلا

وشفائي منه نسيم يغادي ... ني وطرف يرنو إليّ كليلا

هل سمعتم يا ساكني أرض نجد ... بعليلين يشفيان عليلا؟

وقال :

أحنّ وللأنضاء بالغور حنة ... إذا ذكرت أوطانها بربى نجد

وتصبو إلى رند الحمى وعراره ... ومن أين تدري ما العرار من الرند؟

وقال :

وأراني الشوق إذا أرّقني ... بمدى من أرض نجد حضنا

منزل حل به لي سكن ... بعد ما اختار فؤادي وطنا

كلما شئت تأملت له ... منظراً أصبوا إليه حسنا

وقال :

ونفحة من ربى ذي الأثل قابلني ... بها نسيم يزيد القلب أحزاناً

ولم يطب تربها من روضة أنفٍ ... فهاج رياه أطراباً وأشجانا

لكن ذا الاثل طاب الواديان به ... حيث الرباب تجر الذيل أحيانا

ولم يكن لي أكناف الحمى وطناً ... ولا الفوارس من نبهان جيراناً

فلم يزل بي هوى طائية علقاً ... حتى استفدت به أهلا وأوطانا

وقال :

هي الجرعاء صادية رباها ... فزرها يانديم، أما تراها؟

وخل بها دموعك واكفاتٍ ... وكوف السحب واهية كلاها

ولاتذعر بها أدماء تزجي ... بروقيها على لغب طلاها

وقال :

أحب لحبها تلعات نجد ... وماشغفي بها لولا هواها

أما والراقصات تقل ركباً ... كأنهم الصقور على مطاها

ليرتمين بي والليل داج ... اليها الميس مائلة طلاها

وقال :

وقفنا بوادي ذي الأراكة والحشا يذوب وماللصبر في القلب موضع
وليس به إلا حبيب مودّع على وجل يتلوه دمع مشيّع
فليت جمال المالكية إذ نأت اقامت بنجد وهي حسرى وظلع
وهذا مصيف بالحمى لاتمله وفيه لمن يهوى البداوة مربع

وقال :

وموقف زرته من جانبي حضن بحيث يرخي قبالي نحوه الماشي
والعامرية تذري دمعها وجلا والصب لا آمن فيه ولا خاشي
تقول لي والدجى تلقى كلا كلها : حديثنا بين سكان الدجى فاشي

وقال :

نظرت وللأدم النوافخ في البرى بشرفي نجد ياهذيم حنين
الى خفرات من نمير كأنها ظباء كحيلات المدامع عين

وقال :

أعصر الحمى عد بالمطايا مناخة بمنزلة جرداء ضاح مقيلها
لئن كانت الأيام فيك قصيرة فكم جنة لي بعدها أستطيلها

وقال :

هذه دارها على الخلصاء أضحك المزن روضها بالبكاء
وكساها الربيع حلة نوّر نسجتها أنامل الانواء
فسل الركب أني يميلوا اليها بصدور الركائب الانضاء
إنها منزل به النقم الاجـ رع في ميعة الشباب ردائي
وكأني أرى بأطلالها وشـ ـما خفيا بمعصمي ظمياء
أرج تربهن من فتيات ألفته أشباهها بالظباء
وبنجد للعامرية ربع بـ رباه معرّس الاهواء

وقال :

أليلتنا بالحزن عودي فانني اطامن احشائي على لوعة الحزن

فقالوا من الساري وقد بله الندى؟ فقلت ابن أرض ضلّ في ليلة الدجن

له حاجة بالغور والدار بالحمى ونجد هواه وهي تعرف ما أعني

وقال :

ألا بأبي لدى الأثلات ربعٌ سقى طلليه محجري الروي

لطمت اليه خد الأرض حتى تراخت في أزمتها المطي

فدم تعاقب العصرين رسما يلوح كأنه وشم حفي

وقد ناء الربيع به وأسدى كما نشرت غلائلها الهدي

وكاد رباه ترفل في رداه من النوار فوقه الحبيّ

محل للكواعب فيه مغنى أطاب ترابه المرط البدي

اذا خطرت به نمت عليها رياح الغنيه والحليّ

فلا أدري ألاح قلوب طير على اللبّات منها أم ثديّ؟

ذكرت به سليمى فاستهلت دموع بالنجاد لها أتي

وقال :

وآلفة للخدر طاهرة الدقا لأسرتها في عامر ماتصدت

تحل بنجد منزلا حلت العلى به فاستقرت عنده واطمأنت

تذكرتها والركب مغفٍ وساهر فهاج مطاياهم حنيني فحنّت

إلى أن قال :

تهيم اذا ريح الصبا نسمت لها بنجد أو الأيكية الورق غنّت

وتصبوا إلى ليلى وقد شطت النوى ومن أجلها جنّتْ ورنّتْ وأنّت

وقال :

ألام على نجد وأبكي صبابه رويدكَ يادمعي وياعاذلي رفقا

فلي بالحمى من لا أطيق فراقه　　به يسعد الواشي ولكنني أشقى
وأكرم من جيرانه كلّ طارق　　يود ودادا أنه من دمي يسقى
اذا لم يدع مني نواه وحبه　　سوى رمق من أهل نجد فكم أبقى
ولولا الهوى مارقّ للدهر جانبي　　ولارضيت منكم قريش بما ألقى

وقال :

متى طرقتني نفحة غضوية　　يفوه بريـاها العرار أو الرند
أزالت فؤاد الصب عن مستقرّه　　بوجد كما يفتّر عن ناره الزند
اذا ما الغمامُ الجودُ حلَّ نطاقه　　فخص به نجد ومن ضمّه نجد

وقال :

يانجد ما لأحبتي شطوا　　لم يحم أرضك مثلهم قط
ظعنوا فمالك لا تفارقهم　　ياقلب إن رحلوا وإنْ حطوا
وكأن عيسهم على حدق　　تدمى الجفون دموعها تخطو

وقال :

قضت وطراً مني النوى وتخاذلت　　قوى العيس وانضمت عليها المفاوز
وتضوي لذات الضال قال وبالنقا　　شج وعلى وادي الأراكة ناشز
ولولاك ياذات الوشاحين لم يكن　　لمثلي عما يعقب العزّ حاجز

وقال :

ياحبذا نجد وريّا　　والحمى والأجرعُ
وظله الألمى حوا　　ليه غدير شرع
ريا التي اختير لها　　بذي الأراك مربع

ومن أبيات :

فيا نازلي أهل الحمى هل لديكم　　شفاء لصب داؤه من طبيبه
وفيكم قِرى للطارقين فزاركم　　محب ليقرى نظرة من حبيبه

وقال :

أخا العريب أما يدنك بارقه تسمو بطرفي الى ريان أو حضن
أصبو إلى أرض نجد وهي نازحة والقلب مشتمل مني على الحزن
وأسأل الركب عنها والدموع دم بناظر لم يخط جفناً على وسن
وإن سرى البرق من تلقائها عرضت عيسى بذي سلم من مبرك خشن
والريح إن نسمت علوية نضحت بالدمع حنة علوي الى الوطن
فهل سبيل إلى نجد وساكنه يهزّ من ألف المصرين للظعن
ليس العراق لها بعد الحمى وطناً يميس عافيه بين الحوض والعطن
وتستريح المطايا من ترقصها اذا فلت لمم الحوذان بالثفن
هل أهبطن بلاداً أهلها عرب لم يشربوا غير صوب العارض الهتن
على مطهمة جرد جحافلها بيض تلوح عليها رغوة اللبن
إذا رموا من يعاديهم بها رجعت بالذهب دامية اللبات والثنن
فلا دروع لها إلا جلودهم ولاعليهم سوى الأحساب من جنن
ان يجمع الله شملي ياهذيم بهم فلست ماعشت بالزارى على الزمن

وقال :

أحنّ الى ميثاء حالية الثرى وأصبوا الى وعساء طيبة الترب

وقال :

وقفت على ربعي سليمى بعالج وقد كاد يشكو البلى طللاهما
فأذريت من عيني ما رويا به ولم يرو مني غلة وشلاهما

وقال :

وتذكر حتى ليلة الجزع بالحمى لياليتا بالسفح من علّمي نجد
وقد زرتها والباترات هواتف بنا وأنابيب الرديدنية الملد

وقال :

فلولا ابنة السعدى لم يك منزل بحيث العرار الغضّ يلتفّ بالرند
ولا هاج شوقي نفحة غضوية غداة تلقتها العرانين من بعد

وقال :

إذا نشر الحيا حلل الربيع فوشّح نوره كنفي وشيع
وقفت به وذكرني سليمى وكان بنشرها أرج الربوع
بها سفع تبز شؤون عيني خبيئة من ذخرن من الدموع
فناح حمامها وحكيته حتى وجدت الطرف يسبح في النجيع

وقال :

حننت إلى وادي الغضى سقى الغضى حيا كل غاد من سحاب ورائح
أكر اليه نظرة بعد نظرة بطرف الى نجد على النأى طامح
ولما جزعنا الرمل قال لنا السرى ألا رفهوا عن ساهمات طلائح

وقال :

على التلمات الجو من أيمن الحمى لكعبية آباوها طلل قفر
كأن بقاياه وشائع يمنه ينشرها لما يغالى بها التجر
وقفناه به والعين تجرى غروبها وترزم عيسي في أزمتها صعر

إلى أن قال :

حمامة ذات السدر بالله غردي يجاوبك صحبي بالنقا سقى السدر
أيسعد من يدمي جوانحه النوى حمام لديه الإلف والفرخ والوكر

ولو استقصينا ماتمثل به أكثر الشعراء المجيدين بطيب هوائه ومحاله لطال الكلام، وفيما ذكرنا كفاية بالمرام، لذوي الافهام. وتبين مما أوردناه من الشواهد ان نجداً هي من أحسن بلادِ جزيرة العرب، وأرقها هواء وأعذب. طيبة التربة، مياهها عذبة. فيهاَ أحسن الفواكه والثمار، نبتها

الخزامى والرند والعرار، نسيمها كنسمات الأسحار. ووحشها الظباء الأوانس، وأسدها الشجعان والفوارس. فيها التمر الذى لايوجد فى غيرها من الاقطار، والرياض الانيقة المفتحة الازهار، ليلها لصفاء الهواء نهار، ونهارها كأيام المواسم للأنظار. فلذلك أصبحت كعبة قلوب العاشقين، ومطاف أذهان الوامقين، ونرنم ألسنة الشعراء المفلقين، لازالت محروسة بعين عناية ربِّ العالمين.

﴿ ماإشتملت عليه نجـد من القرى والبلاد ﴾

إعلم أن أراضى نجد واسعة جداً فيها بلاد وقرى كثيرة، وفيها صحارى وقفار شاسعة، يسكنها قبائل من العرب لايُحصى عددهم إلا الله تعالى، لايستقرون فى محل واحد ولايتوطنون فى دار. بل لم يزالوا فى حال وارتحال، شأن سكنة البوادى. وهم بطون وقبائل وشعوب يرأس كل عشيره منهم شيخ نافذ الكلمة فيهم. ولهم قوانين مرعية فيما بينهم سيأتى تفصيلها ان شاء الله. والكلام الآن فى حاضرة نجد ومافيها من القرى والبلاد والنواحي.

أما أول نجد أعنى المعمور من مساكن الحاضرة من جهة الشمال (فجوف آل عمرو) الذي على شمال[1] خيبر وفيه قرى كثيرة وكان في أيدي (عنيزة)[2] ثم صار إلى (آل رشيد) شيوخ (جبل شمر) وكان ذلك باذن أمير نجد (ابن سعود) وجبل شمرهما جبلاطئ أجأ وسلمى وكان مسلكن (حاتم طئ) الجواد الشهير وهو الى اليوم مستقر أمير الجبل من أبناء رشيد ومحل توطنه. وفى هذا الجبل قرى كثيرة منها (حائل) و (قفار)،

---

(١) فى الاصل «شماله» وهو وهم كبير.

(٢) الصواب : «عنزة».

(موَّق)(١) و(جبة) و(بقعاء) و(سميراء) و(كهفة) وغير ذلك من القرى الكثيرة. وأحسنها وأوسعها بلدة (حائل) وهي بلدة واسعة الطرق عذبه المياه طيبة الهواء فيها مايزيد على ألف دار، وفيها قليل من الغرباء التجار وفيها نخيل وأشجار، تسقى من الآبار والعيون. وفيها التمر المعروف (بحلوة الجبل) وهو وحشي وبلدي وكلا النوعين من أحسن التمور المشهورة وثمرتها نحو الابهام شقراء أو حمراء. وفي البلد مسجد تقام فيه الجمع والجماعات. وفيه مدارس وعلماء وفيه سوق. والسكنة نحو عشرين ألف نفس كلهم مسلمون من أهل السنة المواظبين على الطاعات وهم كسائر أهل نجد على مذهب الامام (احمد بن حنبل) رضى الله عنه كما سيأتي. والأمير الى اليوم من آل رشيد وهم من الموالين للدولة العلية العثمانية المنقادين لاوامراها، وهم يحكمون بالعدل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لاينحرفون في أحكام الرعايا عن الشريعه الغراء ولدى الأمير كل وقت عالم من علماء الحنابلة كلما حدثت حادثة أحالها الامير اليه فيبين حكم الله تعالى فيها فينفذه الامير من غير تأخير وهكذا سائر بلاد نجد. والامير اليوم (عبد العزيز) وهو ذو سيرة حسنة ومزيد أدب وانقياد للدولة وله صلاح ومعرفة في الدين وعدل. وكان سلفه (محمد بن رشيد) أيضا على جانب من محاسن الاخلاق حتى استمال بحسن سيرته وسياسته قلوب كثير من أهل نجد. وآلُ رشيد كلهم شجعان محبون للغرباء والاضياف كما هو شأن العرب الاماجد في الغيرة والوفاء بالعهود والكرم، وغير ذلك من محاسن الشيم، ومنهم اليوم امراء الحاج المسافرون من بغداد على جهة

---

(١) في الاصل (موفق) بالفاء والتصحيح عن معجم البلدان (ج ٨ ص٢٠٠) طبعة مصر.

الجبل وبواسطتهم تأمن السابلة وأبناء السبيل. نسأله تعالى أن يوفقنا وإياهم لصالح الاعمال.

﴿ ومن نواحي نجد ناحية القصيم ﴾

وهي من أحسن نواحيه وأهلها من أشجع أهالي نجد

وفي القصيم بلدتان مشهورتان وهما عنيزة وبريدة. وهما بلدتان واسعتان فيهما نحو خمسة آلاف دار وفيهما مساجد كثيرة ومدارس متعددة لطلبة علوم الدين وفيهما نخيل وأشجار متنوعة ومياهها من الآبار. وكان الامير قبل (ابن رشيد) رجل من آل سُليم يولى من قبل (ابن سعود) وهو من أهل بيت قديم من عنيزة من عشيرة (سبيع) وكان أمير بريدة من السديريين مولّى من قبل (ابن سعود) آمراً على كافة قرى القصيم.

﴿ قرى القصيم ﴾

وقرى القصيم : الأسياح. وعين ابن فهيد. وحنيظل. وأبو الدود. وقصيبا. وغير ذلك. وهذه القرى كلها خِصْبة كثيرة النخل والبساتين والحدائق والثمار المتنوعه والمياه العذبة.

﴿ قرى بريدة ﴾

وقرى بريدة : الشقة. والعيون. والبصة[١]. والقرعاء. ووادي عنيزه. وغير ذلك. وهذه القرى أيضاً كثيرة النخيل والاشجار والثمار، والعيون والآبار.

---

(١) الصواب «البصر».

﴿ قرى الوادي ﴾

وقرى الوادي : الشيحيات . والهلالية . واليكيرية[١] . والخبراء . والرس وقراه زصبيح . والنبهانية . والمذنب . وقراه ثلاث . هذا هو المشهور من محال القصيم .

وقد أسلفنا لك أول الكتاب أن بعض أهل العلم لم يعد القصيم من نجد بل قال إذا جزت القصيم فأنت في نجد إلى أن تبلغ ذات عرق ثم تتهم . وعن أبي لغدة الأصفهاني : أن القصيم كان موضعاً ذا غضى فيه مياه كثيرة وقرى، منها القريتان قريتا ابن عامر قال : وهما اليوم لولد جعفر بن سليمان إحداهما يقال لها العسكران . قال: وأهل القصيم كانوا يسكنون في خيام الخوص وهي منازل بني عبس وغيرهم، وفيه نخل كثير وهو من عمل المدينة . ويقال : حد القصيم قاع بولان وهي مفازة . قال : والقصيم رمل . وبالقصيم ماء لبني أسد في الرمل عليه خيام من الخوص كثيرة يقال له الحويرثية .

قال الشاعر :

على الربع الذي بحويرثات   من الله التحية والسلام

وبالقصيم عجاز . وهي ماءة لبني مازن وهي المنصف بين البصرة ومكة قال الراجز :

الله نجاك من العجالز   ومن جبال طخفة[٢] النواشز

والعجالز رحب . وعجلز وماحولها من المياه ورحب ماء لبني مازن بالقصيم أيضاً وبه أيضاً لبني المرقع[٣] وهم من بني عبد الله بن غطفان

(١) الصواب : «البكيرية» بتقديم الموحدة .
(٢) في الاصل «طفخة» .
(٣) لم أجد لهذا الاسم ذكراً فيما بين يدي من الكتب .

مياه منها ماءة يقال لها الحجدرة(١) وماء يقال له الركبات . قال الراجز :

ظلت على الحجدرتين تستقي بسوقتين فجنوب الأبرق

وماء لبني ضبة يقال له كثيف وهو لبني كوز وفيه يقول الراجز :

إن لها على الكثيف مشربا دعائماً وخشباً منصبا

وكانت عجلز ورحب في أول الدهر لضبة كان وهبهما ابن جفنة(٢) لمحلم بن سويط .. الى آخر ما قال مما لم تجد اليوم [من] يعرف تلك الاسماء من أهل نجد الا القليل، وسبحان من يتصرف في ملكه كما يشاء.

﴿ ناحية السدير وقراها ﴾

ومن نواحي نجد وناحية السدير وبلدانها : الزلفي – وقراه خمس – والمجمعة . وحرمة . ووشي . والجوى . وجلاجل . والتويم . والداخلة . والروضة . والحصون . والحوطة . والخيوبية . والعطار . والجنيقي . والعودة . وتمير . وعشيرة . والخطامة . فهذه محال سدير وقراه . ومركز الحكومة المجمعة . وكل هذه البلاد كثيرة النخل والبساتين والزروع والمياه العذبة، وسكانها كسائر أهل نجد في العلم والعمل.

﴿ ناحية الوشم وبلادها وقراها ﴾

في هذه الناحية كثير من البلاد والقرى منها : الشقراء وهي بلدة متوسطة كثيرة الدور والمنازل، وكانت مركز الحكومة أيام إمارة ابن سعود. ومنها وسيل . وشيقر(٣) والقرائن . والفرعة . وثرمدة . ومرآة . وثيدية(٤).

---

(١) لعله الجحدرة بتقديم الجيم على الحاء.

(٢) في الاصل «ابن جنة» وانظر أيهما أصح.

(٣) الصواب : أشيقر.

(٤) في الاصل : «وثيثة».

والجريفة . والحريق . والقصب . وسيل . والبير . والدوادمي . والشعرة . والقويعية(١) . والرويضة . والشمس . والخانوقة . والحيد .

﴿ ناحية المحمل ومافيها من القرى ﴾

ومن نواحي نجد ناحية المحمل وبلادها : ثادق وكان مركز الحكومة أيام إمارة ابن سعود . والبير . والصفرّة . ورغبة . والبيرة . ودقلة . والقرنية . وملهم . وصليوخ . وهذه البلاد كلها مشحونة بالسكنة والقاطنين وفيها نخيل وأشجار ومياه عيون وآبار ، وأرضها قابلة للحرث .

﴿ ناحية العارض ومافيه من البلاد ﴾

ومن نواحي نجد العارض وهو المسمى بوادي حنيفة وباليمامة . وكان مركز إمارة ابن سعود على كافة نجد الحاضرة والبادية وكان مركز إمارته «الدرعية» ثم انتقل الى بلد يقال له «الرياض» من بلاد العارض ، والسبب في ذلك خراب الدرعية أيام الحرب مع المصريين فان المصريين بعد دخولهم البلد صلحاً – بعد أن شابت من الفريقين النواصي – ورد الأمر في شعبان سنة أربع وثلاثين بعد المائتين والالف من (محمد علي باشا) صاحب مصر إلى رئيس عسكره في نجد (ابراهيم باشا) وهو في الدرعية ؛ أن يهدم الردعية ويدمرها فأمر أهلها يومئذ أن يرحلوا عنها ، ثم أمر العسكر أن يهدموا دورها وقصورها ! وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ! ولايرحموا صغيرها !! ولا يوقروا كبيرها !! فابتدر العسكر الى هدمها مسرعين ، فهدموها وبعض أهلها مقيمون فيها ، وقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور ، والقصور ، ونفذ فيها القدر المقدور ، وأوقدوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان ، فتركوها خالية المساكن ، كأن لم يتوطنها

(١) في الاصل «والقويعية» .

متوطن ولاسكنها ساكن. وتفرق أهلها إلى النواحي والبلدان، ونعيت في خرائبها البوم والغربان. وكانت هذه البلدة على ماذكره بعض الافاضل النجديين من أعظم بلاد نجد وأحسنها بناء ووضعاً وأكثرها بيوتاً وأزيدها سكنة وأوفرها أموالا ورجالا لايهتدى الواصف الى وصفها ولايحيط العارف بمعرفتها فلو أردت أن تذكر أبطالها وفرسانها وإقبالهم فيها وإدبارهم وكرهم وفرهم في كتائب الخيل والنجائب وما كان يدخل على أهلها من الاموال الكثيرة على إختلاف أجناسها، وما كان من سوق التجارة النافقة لم يستوعبه كتاب، ولم يستقصه خطاب. قال : وكان الداخل في موسمها لايفقد أحداً من أهل الآفاق كاليمن وتهامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم وغيرهم ممن يطول الكلام بذكرهم. والناس لم يزالوا مختلفين اليها فهم مابين داخل فيها وخارج عنها ومستوطن فيها وسائر منها. وكانت البيوت لاتباع فيها الا نادراً وكانت أثمان منازلها إذذاك مابين الف (ليرا) عثمانية وخمسمائة الى مائة وهذا الثمن يومئذ في بلاد نجد ليس بقليل. واجارة الحانوت والدكان يومئذ خمسة وأربعون (ريالا) في كل شهر. وبعضها أجرة كل يوم ريال واحد وهو قريب من (المجيدى). وإذا أتت القافلة من «الهدم» اليها بلغت أجرة الحانوت كل يوم أربعة أمثال الاجرة المعتادة. وهكذا سائر الامتعة والأسباب التي تترقى بكثرة العمران ومزيد رغبة السكنة. وكان كل بيوت البلدة مقاصير وقصورا حتى، ان من يشرف عليها من محل مرتفع يرى أمراً عظيماً ولاسيما موسمها وما فيه من جماهير الامم والخلائق الذين يسمع لهم دوى كدوي النحل من مكان بعيد..

وبعد أن فرغ العسكر من هدم المدينة وتدميرها رحلوا عنها الى الموضع المعروف (بالأموى) وهو غدير قرب بلد (ضرمى) كان سعود أمير نجد

رحمه الله تعالى يجعل فيه خيله أيام الربيع، وبقى العسكر المصري يعيثون في أرض نجد ويخربون البلاد والقرى الى أن عادوا الى بلادهم.

والدرعية الآن فيها عمارة قليلة ونخيل وبساتين وسكنة لانسبة لهم مع حالهم الاول. وسبحان من يتصرف في ملكه كما يشاء.

﴿بلد الرياض﴾

هذه بلدة واسعة الارجاء والطرق، كثيرة البيوت والسكنة، وهي احدى مدن العارض طيبة الهواء، عذبة الماء، فيها مساجد ومدارس وعلماء راسخون في الدين. وفي نواحيها قرى كثيرة. وفيها نخيل وبساتين.

وأول ناحية العارض حريملة ثم سدوس وفي قربها أبنية قديمة يظن أنها من آثار حمير وأبنية التبابعة. نقل لي بعض الاصحاب الثقات من أهل نجد: أن من جملة هذه الأبنية شاخصاً كالمنارة. وعليها كتابات كثيرة منحوتة في الحجر ومنقوشة في جدرانها. فلما رأى أهل قرية سدوس اختلاف بعض السياحين من الافرنج اليها هدموها ملاحظة التداخل معهم.

ثم خرمى[1] ثم العمادية ثم أبو كباش ثم الجبيلة ثم العيينة ثم الدرعية ثم عرقة ثم الرياض ثم منفوحة.

وفي جنوب العارض : الخرج وهي بلدة قديمة واسعة، عن الرياض نحو ثمان ساعات. وفيها عيون وآبار، ونخيل وأشجار. وكانت قبيلة عائذ تسكنها وكانت لهم صولة عظيمة في البدو والحضر. ثم تفرقوا في بلاد نجد وغيرها ولم يبق أحد منهم في البادية. وقد تفرق كثير من قبائل نجد أيضا كآل ورغب وآل كثير الذين ورد الى العراق منهم عدد وافر.

---

(١) كذا والصواب ضرمى.

﴿قرى الخرج﴾

وقرى الخرج : السلمية . والدلم. واليمامة . وزميقة . ونعجان . والسِّيح . وغير ذلك من القرى المشتملة على بساتين وسكنة كثيرين . وفيهم أهل العلم والعمل وطلبة علم.

﴿وادي الفرع وقراه﴾

هو واد معمور، وفيه نخل كثير، وغالب الساكنين فيه من بني تميم ولم يبق منهم في البوادي أحد. وأما قراه فمن أشهرها : الحوطة . والحريق . ونعام . والحلوة وكانت دار الحكومة أيام أمارة ابن سعود.

﴿ناحية الافلاج[1] وقراها﴾

ومن نواحي نجد : ناحية الافلاج وهي أول بلاد قبيلة الدواسر. وقراها : ليلى . والبديع . والاحمر. والهدار. وغير ذلك من القرى المشحونة بالسكنة والنخيل والاشجار.

﴿وادي الدواسر وقراه﴾

أول وادي الدواسر : السليل . ومن قراه : اللدام[2] . وكثيرة . والحدايج وعدد جميع قراه خمس عشرة قرية . وهذا الوادي مسكن قبائل الدواسر البادية والحاضرة ، وهو آخر نجد من جهة الجنوب. والمعمور من نجد : من جوف آل عمرو[3] والى وادي الدواسر مسيرة خمسة عشر[4] يوماً بسير

(١) في الاصل «الافلاح» بالحاء المهملة .

(٢) لعله «الدمام» .

(٣) في الاصل «الى عمر» والصواب ما أثبتناه . راجع أول ص ٢٠ .

(٤) التحقيق ٢٥ يوما أو أكثر.

الانتقال من جهة الشمال الى الجنوب. والمعمور منه من جهة الشرق الى الغرب فهو مسافة ستة أيام. وهذا هو المعمور بالبلدان، وأما مساكن أهل البادية من العشائر والقبائل فهو طولا مسافة شهر، وعرضا كذلك.

﴿ أوديــة نجــد ﴾

أودية نجد منها كبار ومنها صغار. فمن الكبار : وادى الدواسر. ومنها وادي حنيفة. ومنها وادى القصيم المسمى وادي الرمة. ومنها وادى سدير.

﴿ العقبــات ﴾

وفى نجد عقبات صعبة المسالك، والدهناء هي الرمال الحاجزة دون نجد. والدهناء هذه هى التي قصدها الشاعر بقوله :

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم ويرجعن من دارين بُجر الحقائب[1]

﴿ الجهــة الجنوبية من نجــد ﴾

أما الجهة الجنوبية من نجد ففيها بلاد عسير وهم قبائل كثيرون كلهم أهل شجاعة وإقدام، وثبات فى حومة الحريب والخصام، منهم أهل حاضرة ومنهم أهل بادية. وأهل الحاضرة قبائل شهران من حمير وقد تولاهم الامير (ابن سعود) أيام إمارته. والآن ليسوا منقادين لامراء نجد[2]. وكان شيخهم من عشيرة يقال لها (المع) وغالب مساكنهم في الجبال. وهم لايزالون يشنون الغارة على سواحل اليمن فينهبون منها. ومحل إقامة كبير الجبل

---

(١) البيت للاعشى يهجو به لصوصا وبعده :

على حين ألهى الناس جل أمورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب

وهما من شواهد كتب النحو. راجع شرحهما فى شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوى ص ١٠٧ طبعة العثمانية بمصر سنة ١٣١١هـ.

(٢) وقد انقاد له اليوم بعضهم.

بلدة تسمى (السِقا) ولهم أكثر من مآئة قرية، وأكثرهم في البادية.

﴿ الارض المتصلة بنجد من الجهة الشرقية ﴾

أما الجهة الشرقية لنجد فالاحساء والقطيف وهو أرض الخط. والرماح الخطية التي كانت مشهورة بين العرب منسوبة اليه. وفي الخط جزيرة دارين الملاصقة للقطيف والاحساء وهي قرى كثيرة وأكبر مافيها من البلاد: الهفوف والمبرز. والهفوف كانت أيام تصرف أمراء نجد فيها مركز الحاكم الذي يعين من قبلهم. وكان يومئذ في أرض الاحساء ست قلاع فيها عساكر امراء نجد ويتبعها أكثر من مائتي قرية كبيرة. وهي بلاد متسعة الاطراف، ممتدة الاكناف، سهلة المعاش ذات نخل كثير وأشجار متنوعة ومياه عذبة متسلسلة. وامراء نجد لم يكونوا يأخذون من هذه الأرض سوى العشر. وفي المبرز والهفوف مساجد كثيرة ومدارس متعددة وأسواق وعمارات كثيرة. وقد الحقت الى ولاية بغداد والبصرة أيام حكومة (مدحت باشا) واليا على بغداد. وسنأتي على تفصيل القول فيها إن شاء الله تعالى.

وأما القطيف فجهة شرقها على ساحل البحر، وهي كالاحساء في النمو والحواصل وجميع سكانه من الشيعة. والقطيف عن الاحساء مسافة ثلاث مراحل والاحساء عن نجد مسافة سبع مراحل وبين القطيف[١] الدهناء وهي رمال، والصمان[٢] وهي أرض يابسة لايوجد فيها ماء والمسافر منهما الى نجد لابد له من حمل الماء.

وفي جهة القطيف الشرقية بندر العقير الواقع على ساحل البحر وهو بندر الاحساء، وكان فيه محل محصن معد لتجار نجد الذين يسافرون الى

---

(١) كذا في العبارة سقط. والظاهر أنها هكذا: «وبين القطيف والاحساء وبين نجد الدهناء».

(٢) في الاصل «الصماء».

الاحساء فانهم اذا وصلوا الى هذا المحل جعلوا أموالهم فيه الى أن تأتيهم الرواحل فتحمل أموالهم الى الاحساء.

ثم في الجهة الشرقية من العقير (قَطَر) وهي منزل أهل السفائن من العرب الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ وهم قبائل منهم من قحطان ومنهم من وائل. وفي برّ قطر بعض من بني هاجر وفي باديته قبيلة تسمى (المناصير) وفي سواحله محال كثيرة منها البدع وهو رأس الزبارة ونويرط وغير ذلك من البنادر. وكان بره وصحاريه في تصرف امراء نجد.

﴿ تفصيل القول في قطعة الاحساء ﴾

هذه القطعة هي مجاورة لأرض نجد من جهة الشرق كما سبق، وكانت في ادارة امراء نجد الى أن وقع اختلاف بين امرائها أوائل مجئ (مدحت باشا) والياً الى بغداد. فجاءه أحد أمرائها اليه وتعهد له بضبطها فذهب مدحت باشا بنفسه مع مايلزم من العسكر فضبطها وسخرها كما كانت قبل من بلاد الدوله فعين فيها حاكما وقاضياً، وكذلك في ملحقاتها، عين مأمورين آخرين وهي الى اليوم على ذلك الحال. وقد تكلم عليها بعض الادباء من الأحبة وبين حالها بعد إستيلاء الدولة نصرها الله تعالى ووفقها لما فيه حسن العاقبة فقال : طول أرض الاحساء من بيريه الواقعة في جنوبها الى جزيرة العماثر الواقعة منها شرقا[١] مائة واثنتا عشرة ساعة وعرضها من بَنْدر العقير في ساحل البحر الى العرمة الواقعة منها غرباً اثنتان وستون ساعة.

وأعظم بلاد هذه القطعة المبرز والهفوف، والمسافة من الهفوف الى العقير اثنتا عشرة ساعة.

---

(١) لعله شمالا.

ولأرض الأحساء ثلاثة بنادر وكل منها مرسى مهم : القطيف، والعقير، وقَطَر، وكل من هذه الثلاثة قصبة على حدة.

أما القطيف فواقعة على بعد أربعين ساعة من الهفوف. وأما قطر فمسافتها عنها نحو ستين ساعة.

وأما العقير فعلى مسافة أثنتي عشر ساعة، وذلك بسير الابل والاثقال. وحيث ان العقير أقرب الثلاثة الى مركز الحكومة – وهو بلد الهفوف – اتخذ مرسى دون الأخيرين مع كثرة المياه العذبة أثناء الطريق.

وفي سواحل أرض الاحساء محلان مخصوصان بغوص اللؤلؤ وهما : القطيف، وقطر. ومعايش سكنة قطر منحصرة في الغوص على اللؤلؤ، ليس لهم زرع ولاحرث. أما أهل القطيف فلهم نخيل كثيرة وبساتين عظيمة بسبب مافيه من المياه الكثيرة ولذلك غالب السكنة من أهل الثروة. وأنهار أرض الاحساء زهاء ثمانمائة نهر مابين صغير وكبير، والأكثر منها ينبع من الرفعة الواقعة من الهفوف شرقا، وبعضها ينبع من شرقي المبرز البعيد عن الهفوف نحو مسافة أربعين دقيقة. والقسم الاعظم من أرض الاحساء رمال لاتصلح للزراعة.

والبلد وحواليه قابل للزراعة وفيه نخيل كثير، وبساتين عظيمة، وحدائق ملتفة، وفواكه مختلفة، ومياه المعادن المتنوعة، وفيه أنواع التمر التي تفوق الحصر. وفيه النبق الذي يعزّ مثله في البلاد، ومنه نوع معدم النوى. وفيه سبع محال يتكون فيها الملح، وثلاثة معادن للجصّ ومعْدِن طين ويستعمله سكنة المحل للتنظيف بدل الصابون. ولم يستعمل من معادن الملح سوى أربعة والثلاثة الباقية مهملة. وهي في الصحراء مكشوفة الأطراف يأخذ منها الصادر والوارد، وذلك مقتضى الشريعة الغراء، فقد ورد : «الناس شركاء في ثلاث : الماء. والملح. الكلأ».

وفيه الاثمار والفواكه المتنوعة . وقد اشتهر من ثمره «الخلاص» ومن فاكهته «الخوخ» وإنما كان هذا الصنف من التمر أحسن أصنافه لانه دقيق النوى، غليظ الجلد، رقيق الغشاء طيب الطعم. وعلى ذلك قول الاعرابي من أهل عمان لما سئل في جملة أسئلة عن خير التمر فقال : «خير التمر ماغلظ لحاؤه، ودق نواؤه، ورق سحاؤه» .

وفي الاحساء أحسن الخيل، وأحسن الحمر البيض، وأحسن البقر. وفيها الابل والغنم، وفيها الحيوانات الوحشية كالغزال، والذئب والارنب، وابن آوى، والثعلب، والسنور البرى، والحمر الوحشية .

ويزرع فيها الارزُ، والحنطه، والشعير، والسمسم، والذرة، والعلّس، وغير ذلك .

وفي الغرب من الهفوف بمسافة نصف ساعة في غربي المبرز عينٌ ينبع منها الماء الحارّ صيفاً وشتاء تسمى «بعين نجم» وهي في مكان فسيح، وخلف نخيل طرف السيفه عمر ما حولها بالزراعة، وذلك في سنة ١٢٥٥ هـ فقال عند ذلك الشيخ أبو بكر ابن الشيخ محمد الملا رحمه الله :

يا «عين نجم» فُقْتِ آبار الحسا	بحرارةٍ وبُخار ماءٍ يصعد(١)
زِنْتِ البلاد لأن فيك دلالة	عظمى على توحيد ربٍ يُعْبَدُ
إذا كان حمامات أصحاب القرى	يحتاج قاصدها لنارٍ توقد
ودخان مائك ليس فيه مدخل	للخلق بل تقدير مولى يوجد
لولا الموانع قد عرتك ترادفت	منا اليك زيارة وتردد
منها اجتماع رجالنا ونسائنا	من حول عرصتك التي هي تقصد
وكذا اختلاط الضد من لايشتهي	مرآهم قلبي ولا يتودّد

(١) الظاهر من ايراد هذه المنظومات هنا أنه أراد أن يمثل بها روح الادب في هاتيك الديار ...

وكـذا مـوانـع لا أذيـع بـذكـرهـا　　جـهـراً ويـفـهـمـهـا الـذكـي الأرشـد

وقال سلالة العلماء الأماثل الاعيان الشيخ عبد الله الاحسائي ابن الشيخ محمد بن عثمان مذيلا للبيت الاول :

«ياعين نجم فقت آبار الحسا　　بحرارة وبخار ماء يصعد»

وعجيب حالك كم دهى ذا فطنة　　حتى تحير فيه وهو الأرشد

ومن العجائب أن يعد عجيبة　　شئ سواك وحسن ذاتك يوجد

واليك قد سمت العزائم للورى　　متفرجين فدأب خدرك يقصد

والناس طراً أظهر واحب الشتا　　والقيظ عندهم بغيض مكمد

لمساغ وصلك في الشتاء ببرده　　ولأنه بلظى الهجير منكد

والى مديع جنابك المحروس كم　　من سيد أضحى هوى يتردد

لمنافع قد شوهدت وتفرّج　　يدع القلوب بأنسها تتقلد

قد كنت طباً نافعاً للريح إن　　مكنت بجسم بروه مستبعد

ولكم رأى بك من عليل برءه　　مما عراه ونحن جزماً نشهد

واذا تضيفت الهموم قلوبنا　　فعلاجها أن نتحيك فتبعد

وبذا شغفت قلوبنا حباً فلم　　تك عندك منا سلوة وتجلد

واذا شددنا للرحيل رواحلا　　قصداً اليك فذاك عيد أسعد

ونعد من خير المطاعم زادنا　　ومن الشراب كؤوس بن تورد

ونعد من كتب القصائد ما يفي　　بالقصد للانشاد ذا ماانتقد

ويرى لنا منا اجتماع خير حا　　د دونه «اسحاق» فيما ينشد

ومتى اقترحناه الذى نهواه من　　نغماته يسمح ولا يتردد

فتمدنا الأفراح والاتراح قد　　تنزاح عنا، والمزاح يجدد

ومتى أردنا أن نؤوب الى الحمى　　أصحبتنا شوقاً إليك ينكد

لازلت في حفظ الاله من الردى　　وكذا جنابك للبرية مقصد

وعلى النبي وآله وأصحابه أزكى سلام بالصلاة يؤيد

ولما تشرفت تلك العين، بحلول الشيخين، والعلمين المفردين، بلغ خبر وصولهما ذا المناقب والمفاخر، الشيخ عبد الله ابن الشيخ أحمد بن عبد القادر، فأرسل بهذه الأبيات يعرض فيها بالعتاب، اذ لم يرسلا اليه للاجتماع بهما مع الأحباب، فقال :

«ياعين نجم فقت آبار الحسا بحرارة وبخار ماء يصعد»
ونزاهة ونظافة في مائها والمدح في أوصافها يتزايد
والجسم يكتسب الشفا من حرها قولا قديماً للاطبا يعهد
لكنني أشكو الجفا من سيد فاق الأنام وفضله لي يشهد
نجل الكرام السادة الغر الألى لهم المفاخر والعلى والسودد
بحر العلوم وحبرها ومفيدها وسليل من حاز المكارم احمد
الشيخ عبد الله ذو الفضل الذي بهر السماك وغار منه الفرقد
سرتم الى العين التي شرفت بكم وتضاءلت منها العيون السهَّد
وتركتموني مثل «قيس» هائما من وجده فأنا المحب المبعد
أنا عبدكم والودّ مني ثابت حتى الممات ثبوته يتجدد
هلا بعثتم للمشوق رسالة يحيى بها القلب الشقي ويسعد
لكنَّ لي فيما مضى من أسرتي أهل الفضائل أسوة لاتجحد
ستـرون بعدى أسوة لاتحزنوا والصبر في بعض المواضع يحمد
وصلاة ربي والسلام على الذي لولاه ماقال المؤذن (أشهد)

فأجابه الشيخ أبو بكر ابن الشيخ محمد بقوله :

ياتجل أرباب المكارم والحجا ومفاخر في غيرهم لاتوجد
أنت الذى حزت المفاخر والنهى والحلم والعلم الذى هو مرشد

وردت اليَّ رسالة من سوحكم	نظما بديعاً في البلاغة مفرد
تتضمن التنفيد للخِدْن الذي	هو في هواكم شوقه متجدد
هلاَّ عذرتم إذ عذلتم مغرماً	من عذلكم زفراته تتصاعد
إنـي وحقك هائم في حبكم	هذا وسيماء الصبابة تشهد
لم لا وأنت سلالة الانصار من	نصر والدين الله فيه وجاهدوا
مع ذا وحبهم علامة مؤمن	بالله جاذا في حديث يسند
مازال قلبي جانحاً لوصالكم	أبداً ونيران المحبة توقد
هذا ولما منّ ربي باللقا	زال العنا وأتى الهنا والمقصد
لولا موانع دهرنا لترادفت	منا اليك زياره وتردد
دم سالماً في خفض عيش مخضل	محروس ذات سوحها لايفقد
ثم الصلاة مع السلام على النبي	والآل ما ناح الحمام يغرد

***

وكان العوام يعتقدون أن من به عاهة اذا اغتسل في هذه العين يبرأ، وقد خشي بعض أهل العلم السلفيين الفتنة على الناس واختلال عقائدهم فدفنوها سداً للذريعة. وبعد انقيادها لزمام الدولة العثمانية أعادوها كما كانت وبنوا عليها قبة ومباني لطيفة فعاد الناس ينتابون[1] اليها.

وحر الاحساء معتدل وهو فوق حر بغداد، وكنت سألت الأخ الافخم سلمه الله تعالى لما كان متقلداً قضاء ذلك اللواء سنة ١٣٠٦هـ فأجاب وقال :

«وسألتم عن حال شتائنا وربيعنا. فيا أخي ان درجة البرد في الشتاء هنا كبرد الربيع في بغداد، وهانحن في شباط وهوبدرجة مايس في بغداد، فعلى هذا يقتضي أن يكون الصيف متناهي الحرارة والحال انى عند ورودى الى هنا كان الوقت وقت صيف ورأيته أهون بدرجات من صيف بغداد، فما أدري ما الحكمة في ذلك؟».

(١) في الاصل : «ينتاوبون».

ثم كتب لي مرة أخرى يشكو شدة الحر، ويذكر أنه لم ير مثله في بغداد حتى بلغ قرب خمسين درجة.

وكتب لي عند وصوله : «اني بخير وعافية، واستراحةٍ وجودٍ وافية ولم اتكلف في الطريق الامن الحر، وقد اندفع بوصولي جميع مشاق السفر وعلى مايدعي أهل الاحساء ان هذا الوقت أحسن أوقات الهفوف ماءً وهواءً وفاكهةً. وحيث اني بعد لم يستقرْ بي المقام فيها ولم أقف على حال البلد وحال أهاليه لايسعني مدحه ولاذمه، وهيأة وضع بنائه ودوره أشبه شئ بهيأة (بعقوبة) إلا أن هذه البلدة أكبر وأوسع، وهي مسورة بسورين فيما بينهما دور وأزقة وأسواق يعني قصبة في ضمن قصبة : كل منهما مستقل بسوره وبدنه. ولا أذكر لك حال دار حكومتها وهيأة محكمتها فان دار الحكومة عبارة عن طبقةٍ واحدة شبيهة بالخانات التي بطبقة واحدة وحجر الدوائر كلها أرضية ... الخ».

وأعظم العوارض الطبيعية في هذه الخطة كثبان الرمل، فانها تتحول من محل الى محل، وتنتقل من مكان الى مكان عند هبوب الرياح والعواصف فتدمر كل شئ تمر عليه .. وأكثر أراضي هذه الخطة صحارى وقفار خالية عن المياه والسفر فيها يشق.

وليس فيها غابات تليق بالذكر، والاهالي يوقدون السعف واغصان الشجر والشوك والطرفاء والغضى .. وهكذا حال بلاد نجد.

﴿ بيان ادارة هذه الخطة الحاضرة ﴾

إعلم أن الدولة العثمانية أيدها الله ووفقها لمراضيه، بعد استيلائها على هذه الخطة جعلتها لواء — وهو في عرفهم دون الولاية فان اللواء يكون تحت ادارة حاكم يسمى المتصرّف ويرجع في أموره الى والي الولاية. والقضاء،

هو عبارة عن عدة قرى تكون بادارة حاكم يقال له «القائم مقام» يجلس في إحدى القرى والقصبات المختصه بحكمه ويرجع في مهام أموره الي المتصرف. ودون القضاء «الناحية» وهي عبارة عن بعض القري الصغيرة المتجاورة يجلس حاكم صغير في واحدة منها ويسمى «المدير» ويرجع في مهام أموره الى القائم مقام.

وهذه أمور اصطلاحية، اصطلحت الحكومة على وضع هذه الاسماء لتلك المسميات ولامشاحة في الاصطلاح.

فلما دخلت هذه الخطة تحت حكم الدولة جعلوها لواء وعيدوا لها متصرفاً، وهذا اللواء مؤلف من قضاء القطيف، وقَطَر، والهفوف. ومركز المتصرفية الهفوف، والقطيف مركز قائم مقام وهو على ساحل البحر على بعد أربعين ساعة من مركز اللواء، وهم أعظم الأقضية الثلاثة محصولاً، وأوفرها بركة، لما فيه من الخصب والخيرات..

أما (قَطَر) فانه تحت إدارة الشيخ (قاسم بن ثاني) وهو شيخ قبائل تلك الناحية، ولما أحيلت إدارة خطة الأحساء الى الحكومة العثمانية أبقى الشيخ المومأ اليه باسم (قائم مقام) وهو من خيار العرب الكرام، مواظب على طاعاته، مداوم على عبادته وصلواته؛ من أهل الفضل والمعرفه بالدين المبين، وله مبرات كثيرة على المسلمين، وله معين[1] من الدولة في كل سنة ...[2] وهو من الموالين لها، المطيعين لأحكامها. وله تجارة عظيمة في اللؤلؤ، وهو مسموع الكلمة بين قبائله وعشائره وهم ألوف مؤلفة، وبيني وبينه محبة غيبية، ومكاتبات لطيفة، أودعتها في كتاب (بدائع الانشاء). وقد عين في معيته معاون. ويقيم في القطر كل وقت «طابور» من العساكر

---

(١) المعين الراتب.

(٢) بياض بالاصل.

النظامية. ويرسل اليه كل سنتين ونصف حاكم شرع، ومن فى معيته من المأمورين لم يزالوا يمدون أيدى العدوان على الرعايا، فكذلك وقعت وقائع بين العسكر وبين القبائل ثم آل الامر الى الصلح وهو الى اليوم على طاعته وانقياده.

وعدد نفوس قضاء القطر نحو عشرة آلاف نفس بتخمين الحكومة. وعدد نفوس قضاء القطيف حسب تخمينهم أربعون ألفاً. وبيوت هذا القضاء نحو عشر آلاف بيت. وعدد بيوت القطر أربعة آلاف بيت. وقصبة الهفوف التى هى مركز اللواء محاطة بسور، وبين كل عشرين قدماً أو أكثر رابية معمولة على الاصول القديمة. وفيها من النفوس نحو أربعين ألفاً. وفيها من الدور نحو ثلاثة آلاف دار.

وفى جميع الخطة الاحسائية نحو عشرين مكتباً للصبيان يقرأون فيه القرآن العظيم ونحوه. وفيها زهاء ثلاثين مدرسة تدرس فيها الفنون العربية، والعلوم الدينية، وفيها نحو أربعمائة مسجد مابين صغير وكبير. وفى مركز اللواء مسجد عظيم بناه (محمد باشا) أحد الامراء العثمانيين سنه سبع وأربعين بعد الالف.

وفى الخطة الاحسائية مايزيد على أربعة عشر ألف بستان وهى نخيل وأشجار متنوعة. وفيها زهاء ثلاثة آلاف وخمسمائة مزرعة للشلب، ومائة مزرعة للحنطة ومن مزارع الشلب نحو أربعمائة مزرعة بعد حصاد الارز منها تزرع حنطة.

والعقير، والمبرز، والجفر، نواح مشهورة. وفيها نحو ثلاث وخمسين قرية وليس فى هذه الخطة تجارة واسعة، وغالب تجارتهم من التمر والخيل والغنم. وأما المصنوعات الافرنجية التى تدخل هذه الخطة فكلها من الهند.

وفيها تنسج العبى. وفيها صنعة الحدادة، ومهرة الصفارين. والكوّازون وغير ذلك. والبيوت طبقة واحدة.

﴿أخلاق أهل نجد وشمائلهم﴾

أخلاق أهل نجد هي أخلاق العرب المحمودة، وهي: الوفاء، والغيرة، وصيانة العرض، ومحاماة الدخيل، وصدق اللهجة، والشجاعة، والفروسية، ومراعاة الحقوق والعهود، والذكاء المفرد، والحلم، وسرعة الانتقال، وحسن الخلق والخلق.

وهكذا سكنة الخطة الاحسائية، وجميع من جاور الارض النجدية، وصورهم أحسن الصور، وتغلب عليهم السمرة.

ولغتهم أفصح لغات العرب اليوم على فسادها، ولهجتهم أحسن كل لهجة. وفيهم الشعراء والادباء والظرفاء والفصحاء.

﴿معايش أهل نجد وأقواتهم﴾

أهل نجد ينقسمون إلى أهل حضر، وبدويين. والحضريون قليلون بالنسبة الى أهل باديتهم، وغالب العرب كذلك فانهم يألفون البادية أكثر من إلفهم إلى البلاد والقرى، ولم يزالوا يمدحون البوادى فى شعرهم ومنظوم كلامهم ومنثوره. قال قائلهم:

وأسرى بعيس كالأهلة فوقها	وجوه من الأقمار أبهى وأنور
ويعجبني نفح العرار وربما	شممت بعرنيني وقد فاح عنبر
ويخدش غمدي بالحمى صفحة الثرى	اذا جرّ من أذياله المتحضر
فما العيش الا الضب يحرشه الفتى	وورد بمستن اليرابيع أكدر
بحيث يلف المرء أطناب بيته	على العز والكوم المراسيل تنحر
ويغشى ثراه حين يستعتم القرى	ويسمو اليه الطارق المتنور

فأما أهل الحضر فمعايشهم من التجارة والحرث والنخيل والبقر والغنم والزراعة والصنائع. وأقواتهم السمن وألبان البقر والغنم والحنطة والشعير والارز والذرة والسمسم ونحو ذلك. وغالب قوتهم التمر الذى يعزّ مثله في البلاد.

وأما أهل البوادي فمعايشتهم من الغنم والبقر والابل وأكل لحومها وشرب ألبانها. وغالب معايشهم على اليرابيع والأرانب ونحو ذلك.

وأهل نجد عموما يأكلون الجراد بل هو أحسن مايدخرونه لأقواتهم وألذ مايصطفونه لأنفسهم. وهكذا سكنة الخطة الاحسائية. فقد أخبرني الأخ – وهو يومئذ هناك – أنه منذ أيام جاءت إلى هذه الديار رجل جراد عظيم أحمر أجسم جرماً بقليل من جراد العراق. وهو مع كونه قد أضر بزروع الاحساء وأكل بعضها عن آخره غير أن الاهالي فرحوا به فرحاً شديداً لأكلهم له ولم يبق أحد من الاهالى من شفيع ولاوضيع الا وقد خرج لصيده فمسك كلٌ على قدره، وحملوها الحمير وأتوا بها إلى بيوتهم فطبخوه بالملح ثم يبسوه وادخروه، وقد هانت أسعار كل شئ بواسطته ولم يترق الا الملح. قال: وإنى أردت أكل جرادة واحدة لأتعرف طعمه فما قدرت معاذ الله أن تقبله نفسي. فسبحان من غاير بين الطباع والأمزجة. انتهى.

ولهم رغبة في شرب شراب البن، وهم يحسنون عمله ويجيدونه كلّ الإجادة. وعليه قول القائل:

يقول: شراب البن فيه مرارة   وشربة صافي الشهد أحلى وأمثل!

فقلت: على ماعبته بمرارة   قد اخترته فاختر لنفسك مايحلو!

والبن يأتيهم من قبل الهند ويصرف قسم عظيم منه فى بلادهم. وليس لاهل نجد كبير رغبة في السياحة والسفر الى البلاد البعيدة كبلاد الافرنج وماشاكلها ولذلك ترى المحترفين بالتجارة أقل من غيرهم.

﴿ زى أهل نجد ولباسهم وزينتهم ﴾

أهل نجد الحضريون لباسهم الثياب والأقبية والعباءة . وأهل العلم منهم يلبسون في رءوسهم العمائم المحنكة، وسائر الناس يلبسون (العقل) فوق نحو شملة وفي أرجلهم النعال. ويحملون العصي بأيديهم في الغالب، وذلك من السنن المحمودة، ويتطيبون بأحسن الطيب كالمسك والعنبر. ويواظبون على خصال الفطرة المشهورة. والورس – وهو نبت طيب الرائحة – من زينة نسائهم؛ وكذا الحلي كالقرط ونحوه. ولهم مزيد رغبة في الطيب واستعماله، وذلك من علائم طيب نفوسهم وشرفها فلا يميل الى الطيب إلا الطيب. والزى المذكور ليس من خصائص أهل نجد بل مثلهم في ذلك سكنة الاحساء وعمان، بل وسائر العرب.

﴿ دين أهل نجد ومعتقداتهم وأعمالهم ﴾

إعلم أن أهل نجد كلهم مسلمون موحدون بل وجميع سكنة جزيرة العرب. وقد دخلوا في الاسلام في العصر الاول عند ظهور أنوار الشريعه الغراء.

وهم على عقائد (السلف الصالح) فهم يعتقدون أن الله تعالى قديم واحد لاشريك له في ملكه ولاند ولاضد ولاوزير ولامشير ولاظهير ولاشافع إلا من بعد اذنه، وأنه عز اسمه لا والد له ولا ولد ولا كفء ولانسب بوجه من الوجوه ولازوجة؛ وأنه غني بذاته فلا يأكل ولايشرب ولايحتاج الى شئ مما يحتاج اليه خلقه بوجه من الوجوه، وأنه لايتغير ولاتعرض له الآفات من الهرم والمرض والسنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن نحو ذلك؛ وأنه لايماثله شئ من مخلوقاته بل ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأنه لايحل بشئ من مخلوقاته ولايحل في

ذاته شئ منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه، وأنه أعظم من كل شئ وأكبر من كل شئ وفوق كل شئ وعال على كل شئ البته، وأنـه قادر علي كل شئ ولايعجزه شئ يريده بل هو فعال لما يريد، وأنـه عالم بكل شئ يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان ومايكون ومالم يكن لو كان كيف كان يكون، وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ولامتحرك ولا ساكن إلا وهو يعلمه على حقيقته، وإنه سميع بصير : يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. ويرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء. قد أحاط بسمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، ونفذت مشيئته بجميع البريات، وعمت رحمته جميع المخلوقات، ووسع كرسيه الأرض والسموات. وأنه الشاهد الذى لايغيب، ولايستخلف أحداً على ملكه، ولايحتاج الى من يرفع اليه حوائج عباده أو يعاونه أو يستعطفه عليهم أو يرحمه لهم. وأنه الابدى الباقي الذى لايضمحل ولايتلاشى ولايعدم ولايموت وأنه المتكلم المكلم الآمر الناهي قائل الحق وهادى السبيل مرسل الرسل ومنزل الكتب قائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ومجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته. وأنه الصادق في وعده وخبره فلا أصدق منه قيلا ولا أصدق منه حديثا. وهو لايخلف الميعاد. وأنه تعالى صمد بجميع معانى الصمدية يستحيل عليه ماينافض صمديته وأنه قدوس سلام فهو المبرأ عن كل عيب وآفة ونقص. وأنه الكامل الذى له الكمال المطلق من جميع الوجوه. وأنه العدل الذى لايجور ولا يظلم ولايخاف عباده منه ظلما. وهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل، وهو من المحكم الذى لايجوز أن تأتى شريعة بخلافه ولايخبر بشئ بخلافه.

هذا اعتقادهم فى الاله عز وجل

وأما اعتقادهم فى النبيﷺ فهم يعتقدون فيه أنه : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المكي عبد الله ورسوله الى الخلق أجمعين، نبي الرحمة، وهادى الامة. أرسله الله تعالى بالآيات الباهرة، والمعجزات الظاهرة، وكرّمه سبحانه بطهارة الأعراق، وشرّفه بما جبله عليه من مكارم الاخلاق، التى نقض بها عوائد الفطر، وباين لها جميع البشر؛ من فروسيته، وشجاعته، وبأسه، ونجدته، وعزمه، وهمته، وعلمه، وحلمه، وزهده، وعبادته، وإجابة مسألته، ورضاه، وصبره، وحمده، وشكره، وذكره، وتفكره، واعتباره وتبصره، وخوفه، وخشوعه، وتواضعه، وكرم آبائه وجدوده، وسخائه، وجوده، وصمته، وفصاحته، وصدق لهجته، ورعايته للعهد، ووفائه بالوعد، وعدم تلونه، ودوام طريقته وسنّته، وانصافه فى معاملته، وتقواه، وأمانته، وشفقته ورفقه، وحسن خَلقه وخُلقه، وجده، ووقاره، وضياء أنواره، وحيائه ولينه، وثقته ويقينه، وعفوه ورحمته، وصفحه ورأفته، وقناعته وتقلله، وصدق توكله، وحباه من الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء والكوثر، والشفاعة في المحشر، والقرآن والتلاوة، والتاج والهراوة، والسيف والقضيب، والناقة والنجيب، والاسم الحسن، والبراعة واللسن، والذكر الرفيع، والحمى المنيع، والفرع الباسق، والكتاب الناطق، والقضية والاحكام، والحنيفية والاسلام، والآيات المفصلات، والكلمات المنزلات، ومكة المحرمة، والمشاهد المعظمة، والحرم والاحرام، وزمزم والمقام، والمشعر الحرام، والطعان والجلادة، والجمعة والجماعة، والسمع والطاعة، والصلاة المكتوبة، والزكاة المفروضة، والتهليل والاذان، وشهر رمضان، والامر بالمعروف والقربات، والنهى عن الفواحش والمنكرات، والغلظة على الكافرين، وخفض الجناح للمؤمنين، والتفضل

على المسيئين، والمعرفة بالأقدار، والرهبة من الجبار، والسبق في الذكر، والتقدم في الأصفياء، والتأخر في البعث، والختمة للانبياء؛ مما دل بمجموعة على إثبات نبوته، وصدق مقالته، وتفضيله على جميع الخلائق والانام، وتمييزه على سائر ولد آدم عليه السلام.

وذلك مع دلائله مفصل في كتبهم، واعتقده كل من صغيرهم وكبيرهم، وكذلك يعتقدون أن إرسال الرسل حق، فهم يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، لايفرقون بين أحد منهم. ويؤمنون بالسؤال، والبعث، والحشر، والنشر، والجنة، والنار، وبجميع ما أنزل الله على رسوله ﷺ مجملا وتفصيلا. وتفصيل ذلك في كتبهم أيضاً.

﴿ إعتقادهم في الآل والأصحاب ومن تبعهم باحسان ﴾

جميع أهل نجد على اختلافهم في القبائل كما أنهم يعتقدون ماسبق كذلك يعتقدون في الآل والأصحاب، ماوردت به السنة والكتاب، ويؤمنون بما ورد في شأنهم من الفضائل، وماري عنهم من الشمائل، غير أنهم طووا بساط الممارأة في آل رسول ﷺ – وأصحابه، وتركوا العصبية التي هي من أوتار الباطل وأطنابه، فاولئك الآل الكرام هم الذين يتميز بحبهم إيمان المرء من نفاقه، والذين ورثوا النور المبين عمن خصه الله باشراقه. فالصلاة بهم تمامها وبالصلاة عليهم ختامها، ورحمهم موصولة برحم المكارم وذمامها. واولئك السادات من الأصحاب الذين خلطهم بجلدته والظ بهم في شدته، أحبوا فيه وأبغضوا، وأنفقوا له وأقرضوا، وفرض عليهم الصبر معه على البأساء فما أعرضوا. ولكل من هذين الفريقين مقام معلوم، وسهم في السبق والفضيلة غير مسهوم. ولم يزل امراؤهم وعلماؤهم يأمرون بالأخذ على ألسنة السفهاء من الخوض فيما شجر بين آل النبي وأصحابه، واظهار

العصبية التي تزحزح الحق عن نصابه، وترجعه على أعقابه، وليس مستندها إلا مغالاة ذوى الجهل، وربما نشأ منها فتنة والفتنة أشد من القتل، فاولئك السادات هم النجوم الذين كان بهم الاقتداء، وبهم كان الاهتداء، وقصارى المسلم فى هذا الزمان أن يحتلق منهم سبباء ويأخذ عنهم دينا وأدبا، لايَبْلُغ مُدُّ أحدِهم ولانصيفه ولو أنفق مثل أحد ذهبا، نعم : لا يغالون فى حبهم كحب أهل البدع والضلالة، فذلك الذ ما أنزل الله به من سلطان ولا اقتضته الرساله.

والحاصل ان مذهبهم فى أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وأن طريقتهم طريقة السلف التى هى الطريق الاسلام، بل الأحكم، وهى أنهم يقرون آيات الصفات والأحاديث على ظاهرها ويكلون معناها الى الله تعالى كما قال الامام مالك فى الاستواء، ويعتقدون أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى ولا يكون فى ملكه إلا ماأراد وأن العبد لايقدر على خلق أفعاله بل له كسب يترتب عليه الجزاء. وأن الثواب فضل، والعقاب عدل، ولايجب على الله بعبده شئ. وأنه يراه المؤمنون فى الآخرة بلا كيف ولا إحاطة.

وانهم فى الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ولا ينكرون على من قلد أحداً من الائمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذهب الغير كالشيعة والزيدية والكرامية ونحوهم. وأنهم لايستحقون مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد يدعيها عليهم غير أنهم فى بعض المسائل اذا صح لهم نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولامخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الائمة الأربعة أخذوا به وتركوا المذهب كإرث الجدة والاخوة فانهم يقدمون الجد بالارث وإن خالف مذهب

الحنابلة. ولايفتشون على(١) أحد من مذهبه؛ ولايعترضون إلا اذا اطلعوا على نص جلي مخالف لمذهب أحد الائمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر كأمر الصلاة فانهم يأمرون الحنفية والمالكية مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة بالاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك، بخلاف جهر الامام الشافعى بالبسملة فلا يأمرون بالاسرار، وشتان بين المسألتين! فاذا قوى الدليل أرشدوهم الى النص وان خالف المذهب وذلك إنما يكون نادرا. ولا مانع عندهم من الاجتهاد فى بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق. وقد سبق جمع من ائمة المذاهب الاربعة الى اختيارات لهم فى بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين لتقليد صاحبه .. ثم إنهم يستعينون على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة. ومن أجلها لديهم (تفسير ابن حرير) ومختصره (لابن كثير) وكذا (البغوي) و(البيضاوي) و(الخازن) و(الحدادي) و(الجلالين) وغيرها.

وعلى فهم الحديث بشروح الائمة المبرزين كالعسقلانى والقسطلانى على البخارى، والنووى على مسلم، والمناوي على الجامع الصغير. ويحرصون على كتب الحديث خصوصاً الامهات الست وشروحها. ويستعينون بسائر كتب المذاهب فى سائر الفنون أصولا وفروعاً وقواعد ونحواً وصرفاً وجميع علوم الآلة ولايتلفون من المؤلفات شيئاً أصلاء إلا ما اشتمل على مايوقع الناس فى الشرك (كروض الرياحين) أو يحصل بسببه خلل فى العقائد على أنهم لايفحصون عن مثل ذلك إلا إذا تظاهر به صاحبه معانداً. وما اتفق عليه بعض البدو فى إتلاف بعض الكتب إنما صدر منه لجهله. وقد زُجر هو وغيره عن مثل ذلك.

---

(١) الصواب «ولايفتشون عن أحد».

ولايرون سبي العرب ولم يفعلوه ولم يقاتلوا غيرهم ولم يروا قتل النساء والاطفال وأما مايكذب عليهم سترا للحق، وتلبيساً على الخلق، بأنهم يفسرون القرآن برأيهم ويأخذون من الحديث ماوافق فهمهم من دون مراجعة شرح ولامعول على شيخ وأنهم يضعون من رتبة النبي ﷺ وأنه ليس له شفاعة وأن زيارته غير مندوبة وأنهم لايعتمدون أقوال العلماء وأنهم يتلفون مؤلفات أهل المذاهب لكون الحق والباطل فيها وأنهم مجسمة، وأنهم يكفرون الناس على الاطلاق من بعد الستمائة الى هذا الزمان إلا من كان على ماهم عليه، وأنهم لا يقبلون بيعه أحد الا اذا أقر عليه أنه كان مشركا وأن أبويه ماتا على الشرك بالله وأنهم ينهون عن الصلاة على النبي ﷺ، وأنهم يحرمون زيارة القبور المشروعة مطلقا، وأنهم لايرون حقاً لأهل البيت، وأنهم يجبرونهم على تزويج غير الكفء لهم – إلى غير ذلك من الافتراءات؛ فكل ذلك زور عليهم وبهتان وكذب محض من خصومهم أهل البدع والضلال. بل أقوالهم وأفعالهم وكتبهم على خلاف ذلك كله. فمن روى عنهم شيئاً من ذلك أو نسبه اليهم فقد كذب عليهم وافترى، ومن شاهد حالهم وحضر مجالسهم وتحقق ماعندهم علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه عليهم، وافتراه أعداء الدين، وأخوان الشياطين، تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذى نص الله على أنه لايغفره وانه يغفر مادون ذلك لمن يشاء. فانهم يعتقدون أن من فعل أنواعاً من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق والزنى والربا وشرب الخمر وتكرر منه ذلك لايخرج بفعل ذلك عن دائرة الاسلام، ولايخلد في دار الانتقام، إذا مات موحداً لله تعالى في جميع أنواع العبادة ... والذى اعتقدوه فى رتبة النبي ﷺ أن رتبته أعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق، وأنه حي فى قبره حياة مستقرة أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في

التنزيل، إذ هو ﷺ أفضل منهم بلا ريب. وأنه يسمع سلام من يسلم عليه، وأنه تسن زيارته غير أنه لاتشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق أنفس أوقاته بالصلاة عليه الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفى همه وغمه كما جاء في الحديث. وانهم لاينكرون كرامات الأولياء ويعترفون لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعيه، غير أنهم لايستحقون شيئاً من أنواع العباده لا حال الحياة ولابعد الممات. بل يطلبون من أحدهم الدعاء في حال الحياة بل ومن كل مسلم فقد جاء في الحديث «دعاء المرء مستجاب لأخيه» ويثبتون الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة حيثما ورد وكذا سائر الأنبياء والملائكة والاولياء والأطفال حيثما ورد أيضاً. ويسألونها من الله تعالى المالك لها والآذن فيها لمن شاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد فانهم يقولون متضرعين الى الله تعالى : اللهم شفع نبينا محمداً ﷺ فينا يوم القيامة أو عبادك الصالحين أو ملائكتك ونحو ذلك. ولايلزم أن يكونوا مجسمة وإن قالوا بالجهة كما ورد الحديث بها. ويقولون فيمن مات تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون. ولايقولون بكفر من صحت ديانته واشتهر صلاحه وعلمه وورعه وزهده وحسنت سيرته وبالغ في نصح الأمة وان كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها (كابن حجر الهيتمي المكي) رحمة الله، فانهم يعملون كلامه في (الدر المنظم) ولاينكرون سعة علمه، ولهذا يعتبرون مابقى من كتبه كشرح الأربعين والزواجر وغيرها ويعتمدون على نقله.

هذا ماهم عليه. وقد كتبوا في ذلك عدة رسائل خاطبوا بها من له عقل

وعلم وهو متصف بالانصاف، خال من الميل الى التعصب والاعتساف؛ ينظر مايقال، لا الى من قال.

وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته سواء كان حقاً أو غير حق مقلداً فهو ممن قال «إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدرن» عادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال، لا الرجال بالحق، فلا يخاطب هذا وأمثاله فجنود التوحيد بحمد الله منصورة، ورأياتهم بالسعد والاقبال منشورة.

وماكتبناه في هذا الحاصل هو مضمون رسالة كتبها أحد فضلاء علماء نجد وهو الشيخ (عبد الله بن العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) عليهم الرحمة، وقد قرئت عند دخول الأمير (محمود بن سعود) في (الحرمين) الشريفين بمحضر علماء المذاهب الاربعة وبمسمع منهم. فمن الواجب على طالب معرفة الحق وإدراك الحقائق أن لايبادر بالانكار قبل التبصر، ولايحكم على شئ قبل الوقوف على حقيقة الحال، فالخطأ في ذلك عظيم.

فلا تحكم بأول ماتراه فأول طالع فجر كذوب

والقصد بما ذكرناه التنبيه على خطأ من نسب الى القوم ماهم بريئون منه مما يخل بالديانة حتى أساء الظن بقسم عظيم من الأمة العربية وانطوى على بغضهم الذى هو من أعظم أسباب النفاق.

وغالب من أشاع ذلك هم أهل البدع والاهواء الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبا وكذبوا بأقوالهم وأفعالهم على الدين المبين الذى هو بعيد عنهم بمراحل. وهم الدجالون الجالبون على الاسلام كل عار وإلا فأهل الايمان هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

﴿ذكر مناظرة جرت بين عراقي ونجدي (١) تحريرا﴾

هذه مناظرة اتفقت بين عالم عراقي من سكنة بغداد، وبين فاضل كامل، وعالم عامل؛ من علماء نجد : كتب بها العراقي العالم النجدي فأجاب عنها بما سيأتي :

ولكونها تزيد الحق وضوحاً والواقع بياناً أدرجناها على سبيل التلخيص والاختصار، لينجلي بها الحق المستور، ويرد بها الباطل، المشهور رجاء الفوز بثواب ذلك ان شاء الله تعالى.

قال العراقي السائل :

لم تكفرون - يا أهل نجد - المسلمين - وعباد الله الصالحين، وتعتقدون ضلالهم، وتبيحون قتالهم، واستبحتم الحرمين الشريفين وجعلتموهما دار حرب. واستحللتم دماء أهلهما وأموالهم، وجعلتم دار مسيلمة الكذاب هي دار الهجرة ودار الايمان مع ماورد فيها من الحديث : أنها مواضع الزلازل والفتن، لما طلب أهل نجد الدعاء لأرضهم. والتكفير، أمر خطير، حتى أن أهل العلم ذكروا أنه لو أفتى مائة عالم إلا واحداً بكلمة كفر صريحة مجمع عليها، وقال عالم واحد بخلاف أولئك بحكم بقول الواحد ويترك قول غيره حقنا للدماء. فلم لاتتبصرون في أمور دينكم، ولاتراقبون وقوفكم بين يدي باريكم. وتركتم الناس سالمين من ألسنتكم وأيديكم.

قال العالم النجدي المجيب :

أيها العراقي ليس الامر كما علمت أنت وأمثالك، بل أنتم في لبس مما

---

(١) العراقي هو الشيخ داود بن سليمان جرجيس صاحب كتاب (صلح الاخوان) والنجدي : هو العالم الشهير الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، مؤلف كتاب (منهاج التأسيس والتقديس، في كشف شبهات داود بن جرجيس).

نحن عليه، وعسى أن يزول ذلك عنكم إذا صادف ما أكتبه لكم قلوباً سالمة من داء الغباوه . فاقول : أركان الاسلام خمسة : أولها الشهادتان. ثم الأركان الاربعة، فالاربعة إذا أقرّ بها أحد وتركها تهاونا فنحن - وإن قاتلناه على فعلها - فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا فى كفر التارك لها كسلا من غير جحود. ولا نقاتل إلا على ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان. وأيضاً نكفره بعد التعريف اذا عرف وأنكر. فنقول أعداؤنا معنا على أنواع :

النوع الأول : من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذى أظهره للناس وأقر أيضا أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر الذى هو دين غالب الناس أنه الشرك بالله الذى بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله ليكون الدين كله لله ومع ذلك لم يلتفت الى التوحيد ولاتعلمه ولادخل فيه لاترك الشرك، فهذا كافر نقاتله بكفره لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه وعرف دين الشرك فلم يتركه مع أنه لايبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ولايمدح الشرك ولايزينه للناس.

النوع الثانى : فى عرف ذلك كله ولكنه تبين فى سب دين الرسول مع ادعائه أنه عامل به، وتبين فى مدح من عبد غير الله وغالى فى أوليائه وفضلهم على من وحد الله وترك الشرك، فهذا أعظم من الاول وفيه قوله تعالى ﴿ فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنه الله على الكافرين﴾ وهو ممن قال الله فيه ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم﴾.

النوع الثالث : من عرف التوحيد واتبعه وعرف الشرك وتركه ولكن يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقى على الشرك فهذا أيضا كافر فيه قول الله تعالى ﴿ ذلك بانهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾.

النوع الرابع : من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده مصرحون بعداوة التوحيد، واتباع أهل الشرك، وساعون فى قتالهم ويتعذر عليه ترك وطنه ويشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه فهذا أيضا كافر فانهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان ولايمكنه الصيام الا بفراقهم فعل، ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولايمكنه ترك ذلك الا بمخالفتهم فعل. وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يرون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير فهذا أيضا كافر، وهو ممن قال الله تعالى فيه «ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها».

هؤلاء الذين نكفرهم لاغير! وأما القول بأنا نكفر الناس عموماً ونوجب الهجرة الينا على من قدر على إظهار دينه، وأنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان الذى يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لانكفر من عبد القبور من العوام لاجل جهلهم وعدم من ينبهم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذ لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل. سبحانك هذا بهتان عظيم!

فقد ذكرنا لك أيها السائل مايكشف عنك غطاءك لو كان لك بصر ثاقب وفكر سديد وفطنة كافية تأخذ بيدك من أوهام الحيرة وظلمات الوساوس والله ولىّ التوفيق.

وأما ماذكره السائل من (استباحة الحرمين الشريفين) فاعلم أيها السائل الفاضل أن هذا من الكذب والبهت البين انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون. لم يقع فيهما قتال بحمد الله فضلا عن الاستباحة وإنما دخلهما المسلمون فى حال أمن وصلح وانقياد من شريف مكة ورؤساء المدينة وجلس المشايخ منا بالحرمين الشريفين للتعليم

والتدريس وكتبت الرسائل في بيان التوحيد والتنزيه والتقديس حتى جاءت العساكر فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا .

وأما الأموال التى أخذت من الحجرة الشريفة فلم تؤخذ ولم تصرف إلا بفتاوى أهل العلم من سكان المدينة ووضع خطوطهم بذلك. وحاصل ماكتب : ان هذه الأموال وضعت توسعه لأهل المدينة وصدقة على جيران رسول الله ﷺ وأرصدت لحاجتهم وأعدّت لفاقتهم ولاحاجة برسول الله ﷺ اليها والى اكتنازها وادخارها في حال حياته، فضلا عن حال مماته، وقد تقطعت أسباب أهل المدينة ومرتباتهم بمنع الحاج في تلك السنة فأخرجت تلك الاموال لما وصفنا من الحال باطلاع وكيل الحرم وغيره من أعيان المدينة وغيرها. وماوقع من خيانة وغلول لاتجوز نسبته إلى أهل العلم والدين أو أنهم راضون أو غير منكرين له. ولايجوز أن يسمى ماوقع استباحة للحرمين كما ذكرت أيها السائل. كيف وقد وقع من تعظيم الحرمين وكسوة الكعبة الشريفة وتأمين السبل والحج الى بيت الله وزيارة الحرم الشريف النبوى مالا يخفى على منصف عرف الحال، ولم يقصد البهت والضلال!

وأما الاستدلال على صلاح أهلها بشرف تلك البقعة فهو استدلال مَنْ غربت عنه أدلة الشرع وقواعده، وغابت عنه عهود الكتاب العزيز ومواعده، وصار من حسبة الغوغاء والعامة. ولا حاجة لنا إلى تعداد من كفر بآيات الله وصادم رسله ورد حججه من أهل الحرمين، ولا الى تعداد من في بلاد الحبشة والهند وبلاد الفراعنة كمصر وبلاد الصابئة كحران وبلاد الفرس المجوسية، من أهل العلم والامامة والفقه والدين. وفضل الحرمين لايشك فيه من له أدنى إلمام بما جاءت به الرسل الكرام ولكن ليست فيه حجة على تحسين حال أهلهما مطلقا؛ وقد قال (سلمان الفارسي)

رضي الله تعالى عنه لأبي الدرداء لما دعاه الى الارض المقدسة ورغبة فيها : إن الأرض لاتقدس أحداً. قال تعالى «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها» وهي مصر والشام. فان كان في شرف البقاع حجة ودليل على صلاح أهلها فليكن هذا وبنو اسرائيل في الأرض المقدسة وهم سكان (ايليا) و(المسجد الاقصى) وقد جرى منهم من الكفر والتكذيب وقتل الانبياء مالايخفى على من أنس شيئاً من أنوار النبوة والرسالة.

ثم استدلال أهل اليمن على حسن حالهم مطلقا بحديث «الايمان يمان والحكمة يمانية» وحديث «أتاكم أهل اليمن أرق قلوباً، وألين أفئدة» أظهر من الاستدلال بشرف البقاع على عدم ضلال أهلها لأن حديث «الايمان يأرز الى المدينة» يصدق ولو على البعض والأول أدل على العموم، ولو احتج (الأسود العنسي) وأمثاله على حسن حالهم بما تقدم لكانه جوابه جواباً لنا، وقد قال تعالى «وتلك الأيام نداولها بين الناس».

إيضاح المراد من مواضع الزلازل والفتن :

أيها السائل إنك لمحت الى أن المراد من مواضع الزلازل والفتن هي أرض نجد وبلادها، واتخذت ذلك سهماً رميت به من سكن هذه الخطة، ونحن نعذرك في ذلك حيث لم تقف على معنى الحديث. وبعد بيانه نرجو من لطف الله تعالى أن تذعن أنت واضرابك للحق إن كنت من أهل الفهم والانصاف.

أما الحديث فهو قوله ﷺ في الدعاء «اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا. قالوا، وفي نجدنا يارسول الله، فكرر ثلاث مرات يدعو للشام واليمن وهم يقولون : وفي نجدنا. فقال في الرابعة : تلك مواضع الزلازل والفتن» وقد أستجيبت دعوته ﷺ، وحصل من البركات بسبب هذه الدعوة في الشام

واليمن ماهو معروف ومشهور. وهل دونت الدواوين، ووضع العطاء، وجندت الجنود، وارتفعت الرايات والبنود، إلا بعد إسلام أهل اليمن وأهل الشام، وصرف أموالهما في سبيل الله؟ ولكن لايحتج به علي صلاح دين أهلهما إلا من عزبت عنه الحقائق، وعدم الفهم لأصول الدين فضلا عن الفروع والدقائق، وقد تقدم قوله تعالى «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها» وجمهور أهل نجد كتميم، وأسد، وطيء، وهوازن، وغطفان، وبني ذهل بن شيبان؛ صار لهم من الجهاد في سبيل الله، والمقام بالثغور، والمناقب والمآثر، لاسيما في جهاد الفرس والروم، مالا يخفى على من له أدنى إلمام بشيء من العلوم، ولاينكر فضائلهم الا من لم يعرف جهادهم وبلاءهم في تلك المواطن. ولايشك عاقل أنهم أفضل من أهل الامصار قبل استيطان الصحابة وأهل العلم والإيمان. وأما بعد ذلك فالفضل والتفضيل باعتبار الساكن يختلف، وينتقل مع العلم والدين. فأفضل البلاد والقرى في كل وقت وزمان اكثرها علماً، وأعرفها بالسنن والآثار النبوية، وأشر البلاد أقلها علماً، وأكثرها جهلا وبدعة وشركا. وأقلها تمسكا بآثار النبوة وماكان عليه السلف الصالح. فالفضل والتفضيل يعتبر بهذا في الأشخاص والسكان، وقد قال تعالى «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير» وكما أن الحسنات تضاعف في البلد الحرام فكذلك السيئات تضاعف لعظيم حرمته وفضيلته. وقد جاء في فضل بعض أهل نجد كتميم مارواه البخاري عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال «أحب تميما لثلاث سمعتهن من رسولﷺ: قوله لما جاءت صدقاتهم : هذه صدقات قومي. وقوله في الجاريه التميمية : أعتقها فانها من ولد اسماعيل. وقوله : هم أشد أمتي على الدجال» هذا في المناقب

الخاصة. وأما العامة للعرب فلاشك فى عمومها لأهل نجد لأنهم من صميم العرب.

وما ورد فى تفضيل القبائل والشعوب أدل وأصرح فى الفضيلة مما ورد فى البقاع والاماكن، فى الدلالة على فضل الساكن والقاطن. ومعلوم أن رؤساء عباد القبور الداعين الى دعائها وعبادتها لهم حظ وافر مما يأتى به الدجال. وقد تصدى رجالٌ من تميم وأهل نجد للرد على دجاجلة عباد القبور الدعاة الى تعظيمها مع الله تعالى. وهذا من أعلام نبوته ﷺ، أن قلنا إن (ال) فى الدجال للجنس لا للعهد، وان قلنا إنها للعهد – كما هو الظاهر – فالرد على جنس الدجال توطئة وتمهيد لجهاده ورد باطله، فتأمله فانه نفيس جداً.

وليت غيرك أيها السائل تكلم بهذا الكلام فان بلادك – أعنى العراق – معدن كل محنة وبلية، ولم يزل أهل الاسلام منها فى رزية بعد رزية، فأهل حروراء وماجرى منهم على أهل الاسلام لايخفى، وفتنة الجهميه الذين أخرجهم كثير من السلف من الاسلام انما خرجت ونبغت بالعراق. والمعتزلة وما قالوه للحسن البصرى وتواتر النقل به، واشتهر من أصولهم الخمسة التى خالفوا بها أهل السنة، ومبتدعة الصوفية الذين يرون الفناء فى توحيد الربوبية غاية يسقط بها الامر والنهى، انما نبغوا وظهروا بالبصرة. ثم الرافضة والشيعة وماحصل فيهم من الغلو فى أهل البيت، والقول الشنيع فى على والأئمة، ومسبة أكابر أصحاب رسول ﷺ، كل هذا معروف مستفيض عن أهل بلادك! أفلا يستحيي أهل هذه العظائم من عيب أهل الاسلام ولمزهم بوجود (مسيلمة) فى بلادهم؟ أما سمعت مارواه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر (رض) أن النبى ﷺ قال «دخل إبليس العراق فقضى فيها حاجته ثم دخل الشام فطردوه ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ

وبسط عبقرية،؟ والعراق قبل الاسلام هى محل المجوس، وعباد النيران والبقر. فان قيل طهرت بالفتح والاسلام، قلنا : فما بال اليمامة لاتطهر بما أظهر الله فيها من الاسلام، وشعائره العظام، وجهاد أعداء الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام؟

هذا كله أيها السائل – لو سلمنا أن المراد بنجد فى الحديث القطعة الشهيرة مع أن الأمر ليس كما فهمت أنت وأضرابك. بل المراد بنجد فى هذا الحديث وأمثاله هو العراق لأنه يحاذى من جهة الشرق يوضحه أن فى بعض طرق هذا لحديث «وأشار الى العراق».

قال الخطابى : نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها فهى مشرق أهل المدينة، وأصل نجد ماارتفع من الارض وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها. وقال الداودى : إن نجداً من ناحية العراق. ذكر هذا الحافظ ابن حجر، ويشهد له ما فى مسلم عن ابن غزوان، سمعت سالم بن عبد الله، سمعت ابن عمر يقول «يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة! سمعت رسولﷺ يقول. إن الفتنة تجئ من هاهنا. وأوما بيده الى المشرق» فظهر أن هذا الحديث خاص لأهل العراق لأن النبىﷺ فسر المراد بالاشارة الحسية، وقد جاء صريحاً فى الكبير للطبرانى النص على أنها العراق. وقول ابن عمر، وأهل اللغة، وشهادة الحال؛ كل هذا يعين المراد.

وأما قولك أيها السائل «لو أفتى مائة عالم إلا واحد بكلمة كفر صريحة مجمع عليها وقال عالم بخلاف أولئك يحكم بقول الواحد : الخ» فمما يستوجب الأسف عليك حيث كنت بهذه المنزلة من معرفة دينك! أما علمت أن المحتج به فى العقائد والاعمال انما هو الكتاب والسنة والاجماع والقياس؟ فهذا الدليل من أي واحد من الاربعة؟ ومن عرف مافى الدعوى

من العموم والاجماع على خرق الاجماع حمد الله تعالى على السلامة من داء الجهل. ثم هذا العدد المخصوص أهو غاية وحد لايجوز أن يتجاوزه أحد أو هو مبالغة وتهور لايبالي به عند التحقيق والتصور قوم هذا حاصل بحثهم ونهاية إقدامهم؟ وأما قوله ﷺ «إدرأوا الحدود بالشبهات ما استطعتم» فهو ليس مما نحن فيه فان الخلاف ليس من الشبه ولايلتفت اليه إذا خالف الكتاب والسنة أو الاجماع. هذا باتفاق المسلمين لايشكل إلا على الأغبياء. وإطلاق القول بأن الخلاف شبهة يعود على الاسلام بالهد والهدم، والتسجيل على عامة العلماء بالعيب والذم، فقل حكم من الاحكام الاجتهادية إلا وفيه خلاف. ومن المعلوم أنه جاء الخبر النبوي أن هذه الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة وتختلف في دينها. والعلماء مجمعون على القول بهذا وأنه لايلتفت الى كل خلاف لاسيما ما خالف النصوص والاجماع، وأفتوا بهذا في مسائل لاتحصى في أصول الدين وفروعه. فلو كان وجود الخلاف من الشبه لحكمنا بضلالتهم في ذلك كله وهم مجمعون على عكس ماقال السائل. ولو أفتى ألوف بما يخالف النصوص فهم في جانب النص والحجة ولو مع واحد من الالوف. قال الفضيل بن عياض رحمة الله : لاتستوحش من الطريق لقلة السالكين، ولاتغتر بالباطل لكثرة الهالكين. وأحسن منه وأدل قوله تعالى «وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله» فبطل الاحتجاج بالاكثر في الأصول والفروع. وما أحسن ماقيل :

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر

قال السائل :

يا أهل نجد ألم تعلموا أن من كفر المسلمين هو من جملة المارقين؟ فما بالكم اقتديتم بالخوارج، وسلكتم تلك المسالك والمناهج. ووافقتم مذهبهم الباطل، واعتقادهم العاطل. حيث قال أولئك «لاحكم الا الله» وقلتم «لايعبد

إلا الله، وكل من الكلمتين حق أريد بهما باطل وتضليل الامة المحمدية؟

قال المجيب :

أيها السائل! لو عرفت حقيقة الحال، لما صدر منك هذا المقال، فأين أهل الاسلام والتوحيد الذين يكفرون من عبد الانبياء، والأولياء والصالحين ودعاهم مع الله؛ من الخوارج الذين يكفرون أهل القبلة والايمان؟

وكأن عبده القبور عندك أهل سنة وجماعة! ليس الامر كما ظننت، لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة.

ولابد من الكلام على حقيقة مذهب الخوارج ومبدأ أمرهم، والكلام على مذهب عباد القبور وماهم عليه، وبيان حال الشيخ محمد رحمه الله، وتقرير مذهبه وماهو عليه في المعتقد الذى دعا الناس اليه ليعلم الواقف على مانقرره حقيقة المذاهب، وحاصل العقائد فيما وقعت فيه الخصومة.

مذهب الخوارج ومبدأ أمرهم :

إعلم أنه لما اشتد القتال (يوم صفين) قال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان : هل لك في أمر أعرضه عليك لايزيدنا إلا اجتماعاً، ولايزيدهم إلا فرقة؟ قال : نعم! قال : نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم. فان أبى بعضهم أن يقبلها رأيت فيهم من يقول ينبغي لنا أن نقبلها فتكون فرقة فيهم، فان قبلوا رفعت القتال عنا الى اجل! فرفعوا المصاحف بالرماح، وقالوا : هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم! منْ لثغور الشام بعد أهله؟ من لثغور العراق بعد أهله؟ فلما رآها الناس قالوا : نجيب إلى كتاب الله. فقال لهم علي : عباد الله! امضوا على حقكم وصدقكم فانهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرءان! أنا أعلم بهم منكم، والله مارفعوها إلا خديعة ووهناً ومكيدة! قالوا : لايسعنا أن ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله. فقال لهم علي : فاني! إنما اقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله ونسوا

عهده [ونبذوا كتابه] فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القرى : ياعلي! أجب الى كتاب الله عز وجل إذا دعيت اليه، وإلا دفعناك برمتك الى القوم، أو نفعل بك مافعلنا بابن عفان. فلم يزالوا به حتى نهى الناس عن القتال، ووقع السباب بينهم وبين الاشتر وغيره ممن يرى عدم التحكيم. فقال الناس : قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما. فجاء الاشعث بن قيس الى علي فقال : إن الناس قد رضوا بما دعوهم اليه من حكم القرآن إن شئت أتيت معاوية. قال علي : إئته. فأتاه فسأله : لأى شئ رفعوا المصاحف؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ماامر الله به في كتابه، تبعثون رجلا ترضون به وتبعث رجلا نرضى به فنأخذ عليهما أن يعملا بما فيه كتاب الله لايعدوانه(١). فعاد الى علي فأخبره، فقال الناس : قد رضينا، [فـ] قال أهل الشام : رضينا عمرو بن العاص، وقال الاشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج : رضينا بأبي موسى الأشعري، فراودهم (عليٌ) علي غيره وأراد ابن عباس. [فـ] قالوا : والله ما نبالي أنت كنت حكمها ام ابن عباس ولانرضى إلا رجلا [هو] منك ومن معاوية سواء! وألحوا في ذلك وأبوا غير أبي موسى، فوافقهم علي كرهاً، وكتب كتاب التحكيم فلما قرئ علي الناس سمعه عروه بن أمية(٢) أخو أبي بلال [فـ] قال : تحكمون في أمر الله الرجال، لاحكم الا الله! وشد بسيفه فضرب دابة من قرأ الكتاب.

---

(١) في الاصل «لايعدون عنه».

(٢) كذا في الاصل وفي تلبيس ابليس لابن الجوزي (ص ٩٦) «اذينة» وكلاهما تحريف والصواب «أدية» وهي جدة له جاهلية كما في كامل المبرد (ج ٢ ص ١٢١ و ١٢٨ — طبعة التقدم العلمية). وفي تاريخ ابن الاثير (ج ٣ ص ٢٢٠ — طبعة بولاق). هي أمة وهو أحد من اشتهر بالنسبة لغير أبيه، وأبوه حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ووهم صاحب اللسان في مادة (أدو) فقال «وأدية أبو مرداس الحروري» والصواب ماحققناه ومرداس هو أبو بلال أخو عروة.

وكان ذلك أول ماظهرت الحرورية الخوارج، وفشت العداوة بينهم وبين عسكر علي، وقطعوا الطريق في إيابهم بالتشاتم والتضارب بالسياط. تقول الخوارج يا أعداء الله داهنتم في دين الله. ويقول الآخرون : فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا ولم يزالوا كذلك حتى قدموا العراق، فقال بعض الناس من المختلفين : ما صنع علي شيئاً [ذهب] ثم انصرف بغير شئ. فسمعها علي، فقال : وجوه قوم مارأوا الشام ثم أنشد :-

أخوك الذي إن أجرضتك ملمة　　من الدهر لم يبرح لبثك واجما

وليس أخوك بالذي إن تشعبت　　عليك الامور ظل يلحاك لائما(١)

فلما دخل الكوفة دخلت الخوارج الى حروراء فنزل بها اثنا عشر ألفاً - على ماذكره ابن جرير - ونادى مناديهم : إن أمير القتال شبث(٢) بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء(٣) اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عز وجل، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلما سمع علي ذلك وأصحابه قامت اليه الشيعة فقالوا له : في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء ومن واليت، وأعداء من عاديت. قالت لهم الخوارج : استبقتم أنتم وأهل الشام الى الكفر كفرسي رهان : أهل الشام بايعوا معاوية على ما أحب، وأنتم بايعتم علياً على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى! (يريدون أن البيعة لاتكون الا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن الطاعة له تعالى) فقال لهم زياد بن النضر(٤) : والله مابسط علي يده فبايعناه قط الا على كتاب الله وسنة رسوله، ولكنكم لما خالفتموه جاءت

(١) عزاهما المؤلف في بلوغ الارب وغيره الى المرقش الاصغر، ولم يذكرهما صاحب الاغاني في روايته ...

(٢) في الاصل «شيث».

(٣) في الاصل «كوا» وفيما يأتي «الكوى» والتصحيح من الكامل للمبرد.

(٤) في الاصل «النظر».

شيعته فقالوا : نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو(١) على الحق والهدى ومن خالفه ضال مضل! ويعث على (كرم الله وجهه) عبد الله بن عباس الى الخوارج [وقال له لاتعجل الى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك] فخرج اليهم فأقبلوا يكلمونه فقال : نقمتم من الحكمين وقد قال تعالى «فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها» الآية، فكيف بأمة محمدﷺ [فـ] قالوا له ماجعل الله حكمه الى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو اليهم، وماحكم فأمضى فليس للعباد أن ينظروا فيه [حكم] فى الزانى مائة جلدة، وفى السارق القطع؛ فليس للعباد أن ينظروا فى هذا. قال ابن عباس : فان الله تعالى يقول «يحكم به ذوا عدل منكم». قالوا [أو] نجعل الحكم فى الصيد والحرث، وبين المرأة وزوجها، كالحكم فى دماء المسلمين؟ وقالوا له : أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا؟ فان كان عدلا فلسنا بعدول! وقد حكمتم فى أمر الله الرجال، قد أمضى الله حكمه فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقد كتبتم بينكم وبينهم كتاباً، وجعلتم بينكم وبينهم الموادعة. وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية، فجاء على وابن عباس يخاصمهم فقال إنى نهيتك عن كلامهم حتى آتيك! ثم تكلم رضى الله تعالى عنه فقال : اللهم هذا مقام من يفلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة. وقال لهم : مَنْ زعيمكم؟ قالوا : ابن الكواء. فقال : فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتك(٢) يوم صفين. قال : أشهدكم الله(٣)! أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف، وملتم بجنبهم(٤)، وقلت لكم إنى أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا

---

(١) فى الاصل «وهم».

(٢) فى نسخة المؤلف : حكم «منك» والتصحيح من ابن الاثير.

(٣) فى ابن الاثير : «أنشدكم الله». (٤) فى ابن الاثير : «وقلتم نجيبهم».

بأصحاب دين؟ وذكرهم مقالته . ثم قال : وقد اشترطتم(١) على الحكمين أن يحييا ما أحيا القراءن، ويميتا ما أمات القرءان، فان حكما بحكم القراءن فليس لنا أن نخالفـ(٢) وان أبيا فنحن من حكمهما براء. قالوا : فخبرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟ قال : إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرءان، إنما هو خط مسطور بين دفتين [لاينطق] وإنما يتكلم به الرجال قالوا : فخبرنا عن الاجل لم جعلته(٣) بينكم؟ قال ليعلم الجاهل، ويتثبت العالم، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الامة. فادخلوا مصر كم رحمكم الله فدخلوا من عند آخرهم ..

فلما جاء الاجل؛ وأراد علي أن يبعث أبا موسى للحكومة؛ أتاه رجلان من الخوارج : زرعة بن المرح(٤) الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي، وقالا له : لا حكم إلا الله [فقال علي : لاحكم إلا لله]. فقالا له : تب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، وأخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا. فقال علي : قد أردتكم على ذلك فعصيتموني [و] قد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عهوداً، وقد قال الله تعالى «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم». فقال حرقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه؛ [فـ] قال علي : ماهو ذنب ولكنه عجز من الرأي وقد نهيتكم عنه. [فـ] قال زرعة : ياعليّ! لئن لم تدع تحكيم الرجال(٥) لأقاتلنك أطلب وجه الله. فقال له عليّ : بؤساً لك ما أشقاك! كأني بك قتيلا تسفى عليك الرياح. قال: وددت لو كان ذلك. وخرجا من عنده يقولان : لاحكم إلا لله.. وخطب

---

(١) في ابن الأثير : اشترطت.

(٢) في الاصل «نخالفه». (٣) في الاصل «أجملته».

(٤) في ابن الاثير «البرج» وفي ابن خلدون «البرح» ولعل الصواب مافي ابن الأثير.

(٥) في الاصل «لئن حكمتم الرجال».

عليٌ ذات يوم فقالوها في جوانب المسجد، فقال عليّ : الله أكبر! كلمة حق أريد بها باطل. فوثب يزيد بن عاصم المحاربى فقال : الحمد لله غير مودّع ربّنا، ولامستغن عنه، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيئة فى ديننا، فان اعطاء الدنيئة فى الدين إدهان فى أمر الله وذل راجع بأهله [إلى سخط الله] . ياعليّ! أبالقتل تخوفنا؟ أما والله إنى لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات! ثم لتعلم أيّنا أولى بها صليًا!

وخطب علي يوماً آخر فقال رجال في المسجد «لاحكم إلا بالله» يريدون بهذا إنكار المنكر على زعمهم! فقال علي : الله أكبر! كلمة حق أريد بها باطل، أما إن لكم علينا ثلاثاً ماصحبتمونا : لانمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولانمنعكم الفئ مادامت أيديكم مع أيدينا، ولانقاتلكم حتى تبدأونا. وإنا ننتظر فيكم أمر الله. ثم عاد الى مكانه من الخطبة.

ثم أن الخوارج لقى بعضهم بعضاً واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم وزهدهم في الدنيا وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ثم قال : أخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كهوف الجبال أو الى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلة. فقال حرقوص بن زهير[١] إن المتاع فى هذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولاتلفتنكم[٢] عن طلب الحق، وإنكار الظلم، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. فقال حمزة بن سنان الاسدى : ياقوم إن الرأى مارأيتم [فـ] ولوا أمركم رجلا منكم فإنه لابد لكم من عماد، وسناد، وراية تحفون بها وترجعون اليها، فعرضوا ولايتهم على زيد بن حصين الطائى فأبى، وعلى حرقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشرح بن أوفى العبسي فأبيا، ثم عرضوها على عبد

---

(١) فى الاصل «زهيمان» وهو تحريف.　　(٢) فى الاصل «ولا يكفلكم».

الله بن وهب فقال : هاتوها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرارا[1] من الموت. فبايعوه لعشر خلون من شوال فكان يقال له ذو الثفنات[2] . فاجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي فقال ابن وهب : اشخصوا بنا الى بلدة نجتمع فيها وننفذ حكم الله فانكم أهل الحق. قال شريح: نخرج الى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث الى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا. فقال زيد بن حصين : إنكم إن خرجتم مجتمعين تبعوكم ولكن اخرجوا وحداناً ومستخفين! فأما المدائن فان بها مَنْ يمنعكم ولاتسيروا حتى تنزلوا بجسر النهروان وتكلموا إخوانكم من أهل البصرة. قالوا : هذا الرأي. فكتب عبد الله بن وهب الى من بالبصرة ليعلمهم ما اجتمعوا عليه ويحثهم على اللحاق، فأجابوه. فلما خرجوا صار شريح بن أوفى العبسي يتلو قوله تعالى «فخرج منها خائفاً يترقب» . وخرج معهم طرفة ابن عدى الى عامل علي بالمدينة يحذره فحذر وضبط الأبواب، واستخلف عليها المختار بن أبي عبيد وخرج بالخليل في طلبهم[3] فأخبر به ابن وهب فسار على بغداد ولحقه ابن مسعود أمير المدائن بالكرخ في خمسمائة فارس فانصرف اليه ابن وهب الخارجي فر

---

(١) لعل الأولى «فرقا» أي خوفا – كما في ابن الاثير.

(٢) في الاصل ذو الثفيات.

(٣) كذا بالاصل والذى فى ابن الاثير (ج ٣ ص ١٤٥ طبعة بولاق) هكذا : «وخرج معهم طرفة بن عدي بن حاتم الطائي فاتبعه أبوه فلم يقدر عليه فانتهى الى المدائن ثم رجع فلم بلغ ساباط لقيه عبد الله بن وهب الراسبي في نحو عشرين فارساً فاراد عبد الله قتله فمنعه عمرو ابن مالك النبهاني وبشر بن زيد البولاني وأرسل عدى الى سعد بن مسعود عامل عليٍّ على المدائن يحذره أمرهم فاخذ أبواب المدائن وخرج في الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبي عبيد وسار في طلبهم الخ الخ» .

ثلاثين فارساً فاقتتلوا ساعة، وامتنع القوم منهم، فلما جن الليل على ابن وهب عبر دجلة، وصار الى النهروان، ووصل الى أصحابه، وتفلت رجال من أهل الكوفة يريدون الخوارج فردهم أهلوهم. ولما خرجت الخوارج من الكوفة عاد أصحاب عليّ وشيعته اليه فقالوا : نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، فشرط لهم سنة رسول الله ﷺ فجاءه ربيعة بن أبى شداد الخثعمى فقال : أبايع على سنة أبى بكر وعمر! قال على : ويلك لو أن أبا بكر وعمر بغير كتاب الله وسنة رسوله لم يكونا على بيّن من الحق. فبايعه ونظراليه عليّ فقال : أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكأني بك ... وطأتك الخيل : حوافرها. فكان ذلك وقتل يوم النهروان مع الخوارج.

وأما خوارج البصرة فانهم اجتمعوا فى خمسمائة رجل، وجعلوا عليهم مسعر ابن فدكى التميمى وعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الأسود الدؤلى ولحقهم بالجسر الأكبر فتوافقوا حتى حجز دونهم، وأدلج مسعر بأصحابه وسار حتى لحق بابن وهب. فلما انقضى أمر التحكيم وخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري، وصرّح عمرو بولاية معاويه بعد أن عزل أبو موسى علياً، خدعه عمرو بذلك فهرب أبو موسى الى مكة؛ قام عليٌ فى الكوفة فخطبهم وقال فى خطبته :—

«الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحد ثان الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. أما بعد : فان المعصية تورث الحسرة، وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين – يعنى أبا موسي وعمرو بن العاص – وفى هذه الحكومة أمرى، ونحلتكم رأيى «لو كان لقصير رأي»، ولكن أبيتم إلا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن(١) :

---

(١) هو دريد بن الصمة. والبيت من قطعة له أوردها أبو تمام فى باب المراثي من الحماسة.

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه، بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بينه، ولاسنة قاضية، واختلفا فى حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين. فاستعدوا وتأهبوا للمسير الى الشام».

وكتب للخوارج :

«من عبد الله علي أمير المؤمنين، الى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس».

أما بعد : فان هذين الرجلين اللذين ارتضيتما حكمين قد خالفا كتاب الله، واتبعا أهواءهما بغيرهدى من الله، فلم يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون. فاذا بلغكم كتابى هذا فأقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول والذى كنا عليه».

فكتبوا اليه : «أما بعد فانك لم تغضب لربك وانما غضبت لنفسك. فان شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نبذناك على سواء. إن الله لايحب الخائنين».

فلما قرأ كتابهم يئس منهم، ورأى أن يدعهم ويمضى بالناس الى قتال أهل الشام. فقام فى الكوفة فندبهم الى الخروج معه، وخرج معه أربعون ألف مقاتل، وسبعة عشر من الابناء، وثمانية آلاف من الموالي والعبيد. وأما أهل البصرة فتثاقلوا، ولم يخرج [منهم] إلا ثلاثة آلاف، وبلغ علياً أن الناس يرون قتال الخوارج أهم وأولى. قال لهم عليّ : دعوا هؤلاء، وسيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً، ويتخذوا عباد الله خولاً. فناداه الناس أن سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت.

ثم إن الخوارج استحر أمرهم، وبدأوا بسفك الدماء، وأخذ الأموال. وقتلوا

عبد الله بن خبّاب(١) صاحب رسول الله ﷺ : وجدوه سائراً بامرأته على حمار فانتهزوه وأفزعوه . ثم قالوا له : منْ أنت ؟ فأخبرهم .قالوا : حدثنا عن أبيك خباب حديثاً سمعه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنفعنا به . فقال : حدثني أبي عن رسول الله ﷺ قال : إنه ستكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمنا ويصبح كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً . قالوا : لهذا سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً. فقالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محقاً في أولها وآخرها . قالوا : فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : أقول إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة . فقالوا : إنك تتبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنك قتلة ماقتلناها أحداً : فأخذوه وكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى [متم] فنزلوا تحت نخل مثمر فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيه، وقال له آخر : أخذتها بغير حلها، وبغير ثمن؛ فألقاها . ثم مر بهم خنزير فضربه أحدهم بسيفه فقالو له هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير – وهو من أهل الذمة – فأرضاه . فلما رأى ذلك ابن خباب قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليّ من بأس ما أحدثت في الإسلام حدثاً ولقد أمنتموني فأضجعوه وذبحوه! وأقبلوا الى المرأة فقالت : أنا امرأة ألا تتقون الله فبقروا بطنها! وقتلوا ام سنان الصيداوية، وثلاثاً من النساء، فلما بلغ ذلك علياً بعث الحرث بن مرة العبدي يأتيه بالخبر، فلما دنا منهم قتلوه . فألح الناس على عليّ في قتالهم وقالوا : نخشى أن يخلفونا في عيالنا وأموالنا فسر بنا اليهم . وكلمه الأشعث بمثل ذلك واجتمع الرأي على حربهم

---

(١) كان في الاصل هنا وفيما ياتي «الحباب» بالالف واللام وبالحاء المهملة . والتصحيح من كامل المبرد وكامل ابن الاثير والاصابة للحافظ العسقلاني وغيرها .

وسار علي يريد قتالهم فلقيه منجم في مسيره فأشار عليه أن يسير في وقت مخصوص وقال : ان سرت في غيره لقيت أنت وأصحابك ضرراً شديداً. فخالفه عليّ فسار في الوقت الذي نهاه عنه، فلما وصل إليهم قال : ارفعوا الينا قتلة إخواننا نقتلهم ونترككم فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم الى خير مما أنتم عليه. فقالوا : كلنا قتلهم، وكلنا مستحيل لدمائهم ودمائكم، وخرج اليهم قيس بن سعد ابن عباده : فقال عباد الله أخرجوا الينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الامر الذي خرجتم منه، وعودوا بنا الى قتال عدونا، فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين. فقال له عبد الله بن شجرة السلمي . إن الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر. فقال : مانعلم غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم؟ قالوا لا . قال: نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها فأني لا أرى الفتنة إلا وقد غلبت عليكم.

وخطبهم أبو أيوب الانصاري فقال «عباد الله إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا؟» فقالوا : إن تابعناكم اليوم حكمتم غداً. فقال : فاني أنشدكم الله لاتجعلوا فتنة العام مخافة مايأتي في القابل. وأتاهم علي رضي الله عنه فقال : «أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاج، وصدها عن الحق الهوى، وطمح بها وأصبحت في الخطب العظيم! إني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الامة غداً صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضاب هذا الغائط بغير بينه من ربكم ولا برهان مبين، ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة، ونبأتكم أنها مكيدة، وأن القوم ليسوا بأصحاب دين؟ فعصيتموني فلما فعلتم أخذت على الحكمين، واستوثقت أن يحييا ما أحيا القرءان، ويميتا ما أمات القرءان. فاختلفا وخالفا حكم الكتاب، فنبذنا أمرهما، فنحن على الامر الأول فمن أين أتيتم؟ قالوا : انا حكمنا فلما حكمنا أثمنا وكنا بذلك كافرين، وقد تبنا فان تبت فنحن معك

ومنك، فان أبيت فانا منابذوك على سواء. قال علي : أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر(١)! أبعد ايماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله؛ أشهد على نفسي بالكفر؟ قد ضللت اذن وما أنا من المهتدين! [ثم انصرف عنهم].

وقيل : كان من كلامه «ياهؤلاء إن أنفسكم قد سولت لكم فراقي بهذه الحكومة التي أنتم بدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أن القوم انما طلبوها مكيدة ووهناً، فأبيتم على إباء المخالفين وعندتم عنود النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم رأي معاشر - والله - اخفاء الهام، سفهاء الأحلام فلم آت - لاأبالكم - هجراً. والله ماحلت عن أموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الامر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة، ولا ارتكبت لكم ضراً، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً، فأجمع رأي ملئكم أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بالحق ولايعدواه، فتركا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما، والتقيه دينهما حتى خالفا سبيل الحق(٢)، وأتيا بما لايعرف. فبينوا لنا بم تستحلون قتالنا، والخروج عن جماعتنا، وتضعون سيوفكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس : تضربون رقابهم، إن هذا لهو الخسران المبين. والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام؟»

فتنادوا أن لاتخاطبوهم ولاتكلموهم، وتهيئوا للقاء الله، الرواح الرواح الى الجنة! فرجع علي عنهم.

ثم انهم قصدوا جسر النهر فظن الناس أنهم عبروه فقال علي : «لن

---

(١) في الأصل «دابر».

(٢) كذا وفي تاريخ ابن الاثير «وكان الجور هواهما، والثقة في أيدينا حين خالفا سبيل الحق».

يعبروه وأن مصارعهم لدون الجسر. والله لايقتلون منكم عشرة، ولايسلم منهم عشره، فتعبأ الفريقان للقتال، فناداهم أبو أيوب فقال: من جاء [تحت] هذه الراية فهو آمن، ومن أنصرف الى الكوفة، أو الى المدائن، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن. فانصرف فروة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فبقي مع عبد الله بن وهب ألف وثمانمائة فزحفوا الى عليّ وبدأوه بالقتال، وتنادوا: الرواح الرواح الى الجنة؛ فاستقبلهم الرماة من جيش علي بالنبل والرماح والسيوف، ثم عطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة وعليها أبو أيوب الانصاري، وعلى الرجالة أبو قتادة الأنصاري. فلما عطفت عليهم الخيل والرجال، وتداعي عليهم الناس؛ مالبثوا أن أناموهم فأهلكوا في ساعة واحدة، فكأنما قيل لهم: موتوا، فماتوا. وقتل ابن وهب حرقوص وسائر سراتهم، وفتش عليّ في القتلى والتمس المخدج الذي وصفه النبيﷺ في حديث الخوارج فوجده في حفرة علي شاطئ النهر، فنظر الى عضده فاذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود، فاذا مدت أمتدت حتى تحاذي يده الطولى. فلما رآها قال: والله ماكذبت ولاكذبت والله لولا أن تنكلوا عن العمل لاخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيهﷺ لمن قاتلهم متبصراً في قتالهم، عارفاً للحق الذي نحن عليه. وقال حين مرّ بهم وهم صرعى: بؤساً لكم لقد ضرّكم من غركم. قالوا: يا أمير المؤمنين! من غرّهم؟ قال: الشيطان، ونفس أمارة بالسوء غرتهم بالأمان، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم أنهم ظاهرون.

(هذا) ملخص أمرهم، وقد عرفت شبهتهم التي جزموا لأجلها بكفر علي وشيعته، ومعاويه وأصحابه، وبقي معتقدهم في أناس متفرقين بعد هذه الوقعة، ثم اجتمعت لهم شوكة ودولة، وقاتلهم المهلب بن صفرة، وقاتلهم

الحجاج بن يوسف، وقاتلهم قبله ابن الزبير زمن أخيه عبد الله، وشاع عنهم التكفير بالذنوب – يعني مادون الشرك–.

وبهذا تعرف حقيقة الحال، ويزول الاشكال، الذى نشأت منه الشبهة. وما أحسن ما قال العلامة ابن القيم فى نونيته :

ومن العجائب أنهم قالوا لمن   قد دان بالآثار والقرآن

أنتم بذا مثل الخوارج، إنهم   أخذوا الظواهر، ما اهتدوا لمعانى

وهذا داء قديم فى أهل الشرك والتعطيل من كفرهم بعبادة غير الله، وتعطيل أوصافه، وحقائق أسمائه، قالوا له : أنت مثل الخوارج : يكفرون بالذنوب وتأخذون بظواهر الآيات. ومعلوم أن الذنوب تتفاوت وتختلف بحسب منافاتها لأصل الحكمة المقصودة بإيجاد العالم، وخلق الانس والجن، وبحسب مايترتب عليها من هضم حقوق الربوبية، وتنقص رتبة الآلهية، وقد كفر الله ورسولهﷺ بكثير من جنس الذنوب كالشرك وعبادة الصالحين، كما فى الصحيحين من حديث ابن مسعود قال : قلت يارسول الله أي الذنوب أعظم؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قال : قلت ثم أي؟ قال : ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قال: قلت ثم أي؟ قال ان تزانى حليلة جارك. فانزل الله تعالى «والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق» الآية. فمن أنكر التكفير جملة فهو محجوج بالكتاب والسنة، ومن فرق بين مافرق الله ورسوله بينه من الذنوب، ودان بحكم الكتاب والسنة وإجماع الامة فى الفرق بين الذنوب فقد أنصف، ووافق أهل السنة والجماعة. ونحن لم نكفر أحداً بذنب دون الشرك الأكبر الذى جمعت الامة على كفر فاعله إذا قامت عليه الحجة، وقد حكى الاجماع على ذلك غير واحد كما حكاه فى الاعلام لابن حجر الشافعى.

ذكر طرف من معتقد المغالين، في القبور والصالحين :

ونذكر لك طرفاً من معتقد هؤلاء، وحقيقة ماهم عليه من الدين، ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن، إن كان الواقف ممن أختصه الله بالفضل والمنّ، ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلا واستظهاراً مع مافي التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق.

من ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء، ودعاؤهم مع الله في المهمات والملمات. والحوادث التي لايكشفها ولايجيب الدعاء فيها إلا فاطر الأرض والسموات. والعكوف حول أجداثهم، وتقبيل أعتابهم، والتمسح بآثارهم طلباً للغوث واستجابة الدعوات. واظهار الفاقة، وإبداء الفقر والضراعة. واستنزال الغيوث والامطار وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار. وسؤالهم تزويجهم الأرامل والايامى واللطف بالضعفاء واليتامى، والاعتماد عليهم في المطالب العالية، وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية، وإعطاء تلك المراتب السامية. وجماهيرهم – لما ألفت ذلك طباعهم، وفسرت به فطرهم، وعز عنه امتناعهم – لايكاد يخطر ببال أحدهم مايخطر ببال آحاد المسلمين : من قصد الله تعالى، والإنابة اليه. بل ليس ذلك عندهم الا الولي الفلانيّ، ومشهد الشيخ فلان. حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضاً عن الخروج للاستسقاء، والانابة الى الله تعالى في كشف الشدائد والبلوى. كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم. فهل سمعت عن جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب!

والكلام مع ذكي القلب، يقظ الذهن، قوي الهمة، العارف بالحقائق، ومن لاترضى نفسه بحضيض التقليد، في أصول الديانات والتوحيد.

وأما ميت القلب، بليد الذهن، رضيع النفس، جامد القريحة. ومن لا تفارق همته التشبث بأذيال التقليد، والتعلق على مايحكى عن فلان وفلان

في معتقد أهل المقابر والتنديد؛ فذاك فاسد الفطرة، معتل المزاج. وخطابه محض عناء ولجاج.

ومن وقف على كتب المتصوفة، ومناقب مشايخهم؛ وقف على ساحل بحر من ضلالهم.. وفى حاشية الشيخ البيجورى على السنوسية نقلا عن الدردير عن الشعرانى : «ان الله وكل بقبر كل ولي ملكا يقضي حاجة من سأل ذلك الولي» فقف هنا وانظر ما آل اليه إفكهم! فأين هذا من قوله تعالى: «وإذا سألك عبادى عني فأنى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى»؟ وقوله : «ادعوا ربكم تضرعاً وخفية»؟ وقوله : «فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب»؟ وقوله :«أم من يجيب المضطر إذا دعاه»؟ وقوله : «وقال ربكم ادعونى أستجب لكم»؟

وأي حجة فى هذا الذى قاله الشعرانى لو كانوا يعلمون؟ ولكن القوم أصابهم داء الامم قبلهم فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون! – ومن هذا الجنس ماذكره الشعراني فى ترجمة شمس الدين الحنفى انه قال فى مرض موته «من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب أن أقضيها له فانما بينى وبينه ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل»!!!

وباب تصرف المشايخ والأولياء قد اتسع حتى سلكه جمهور من يدعي الاسلام من أهل البسيطة وخرقه! قد هلك فى بحاره أكثر من سكن الغبراء، وأظلته المحيطة، حتى نسي القصد الاول من التشفع والوساطة، فلا يعرج عليه عندهم إلا من نسى عهود الحمى. فعاد الأمر الى الشرك فى توحيد الربوبية والتدبير والتأثير، ولم يبلغ شرك الجاهلية الاولى الى هذه الغاية بل ذكر الله عز وجل أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به، ولذلك احتج عليهم فى غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية، والتدبير على ما أنكره من الآلهية.

ومن ذلك – وهو من عجيب أمرهم – ماذكره حسين بن محمد النعيمي اليمني في بعض رسائله «أن امرأة كفت بصرها فنادت وليها : أما الله فقد صنع ماترى ولم يبق الا حبك»(١). انتهى.

وروي : أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا الى الضريح المنسوب الى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة، فاستقبلوا القبر، وأحرموا، ووقفوا وركعوا، وسجدوا لصاحب القبر، حتى أنكر عليه سدنة المشهد وبعض الحاضرين، فقالوا : هذا محبة في سيدنا الحسين. وكثير من علماء مصر يقول : لايدق وتدفى القاهرة إلا بإذن السيد أحمد البدوي.

وقد اشتهر مايقع من السجود على أعتاب المشهد، وقصد التبرك مع مافيه لا يمنع حقيقة العبادة الصورية.

ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولي بشئ معين يبقى رسما جاريا يؤدى كل عام، وإن كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها لانها مشتراة منه «ولا يمانع هذا الامكابر في الحسيات، وإن فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر!

وهذا أشد وأشنع مما ذكر – جل ذكره – عن جاهلية العرب بقوله «وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا» الآية.

وكذلك جعل السوائب باسم الولي : لايحمل عليها، ولاتذبح. وسوق الهدايا والقرابين الى مشاهد الأولياء، وذبحها حبا للشيخ وتقربا اليه. وهذا وان ذكر اسم الله عليه، فهو أشد تحريماً مما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير الله فان الشرك في العبادة أكبر من الشرك بالاستعانة. – ومن ذلك ترك الاشجار والكلأ والعشب إذا كان بقرب المشهد، وجعله من ماله.

---

(١) في الاصل «حسبك».

ومنها الحج الى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون، ويهدون لصاحب القبر ويذبحون، وبعض مشايخهم يأمر الزائر بحلق رأسه إذا فرغ من الزيارة. وقد صنف بعض غلاتهم كتاباً سماه (حج المشاهد).

ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين. والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر والنصيب الاوفى؛ بل فيه البحر الذي لاساحل له، والمهامة التي لاينجو سالكها ولايكاد، ومن نحوه عرف الكفر، وظهر الشرك والفساد، كما يعرف ذلك من له إلمام بالتواريخ، ومبدإ الحوادث في الدين. ومن شاهد مايقع منهم عند مشهد عليٍّ والحسين وموسى الكاظم ومحمد الجواد (رضي الله عنهم) عند رافضتهم، والشيخ عبد القادر والحسن البصري والزبير وأمثالهم (رضي الله عنهم) عند سنتهم: من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات، وأنواع الموبقات؛ علم أنهم من أجهل الخلق وأضلهم، وأنهم في غاية من الكفر والشرك ماوصل اليها من قبلهم ممن ينتسب الى الاسلام. والله المسئول أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، بمحو هذه الضلالات حتى يعبد وحده، فتسلم الوجوه له، وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها.

ومن ذلك – وإن كان يعلم مما تقدم – إتخاذها أعياداً أو مواسم مضاهاةً لما شرعه الله ورسوله من الأعياد المكانية والزمانية. ومنها مايقع ويجري في هذه الاجتماعات من الفجور والفواحش، وترك الصلوات، وفعل الخلاعات، التي هي في الحقيقة خلع لربقة الدين والتكليف، ومشابهة لما يقع في أعياد النصاري والصابئة والافرنج ببلاد فرانسا وغيرها من الفجور والطبول والزمور والخمور. وبالجملة فما أحدثه عباد القبور يعز حصره وأستيفاؤه.

سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

ونقص عليك شيئاً من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ونذكر طرفاً من أخباره وأحواله، ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره، فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان وأغواه، وبالغ في كفره واستهواه : فنقول : -

قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه، وماثبت بخطه، وعرف واشتهر من أمره ودعوته، وماعليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته، انه على ماكان عليه السلف الصالح، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله، وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، التي نطق بها الكتاب العزيز، وصحت بها الاخبار النبوية، وتلقتها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم: يثبتونها، ويؤمنون بها، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولاتعطيل، ومن غير تكييف ولاتمثيل. وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والايمان، وسلف الأمة وأئمتها، كسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وطلحة بن عبيد الله، وسليمان بن يسار وأمثالهم. ومن الطبقة الثانية : كمجاهد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وابن سيرين، وعامر الشعبي، وجنادة بن أبي أمية، وحسان بن عطية وأمثالهم. ومن الطبقة الثالثة : علي بن الحسين، وعمر بن عبد العزيز، ومحمد بن مسلم الزهري، ومالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وابن الماجشون، وكحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، والفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، وأبي حنيفة النعمان ابن ثابت، ومحمد بن ادريس، واسحاق بن ابراهيم، وأحمد بن حنبل، ومحمد ابن اسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري، وأخوانهم وأمثالهم ونظرائهم من أهل الفقه والاثر في كل مصر وعصر.

وأما توحيد العبادة والآلهية فلا خلاف بين أهل الإسلام فيما قاله الشيخ وثبت عنه من المعتقد الذي دعا إليه؛ يوضح ذلك أن أصل الإسلام وقاعدته شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي أصل الإيمان بالله وحده ، وهي أفضل شعب الإيمان . وهذا الأصل لابد فيه من العلم والعمل والإقرار بإجماع المسلمين، ومدلوله وجوب عبادة الله وحده لاشريك له، والبراءة من عباده سواه كائناً من كان . وهذا هو الحكمة التى خلقت لها الإنس والجن ، وأرسلت لها الرسل، وانزلت بها الكتب . وهى تتضمن كمال الذل والحب، وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم .

وهذا هو دين الإسلام الذى لايقبل الله ديناً غيره لامن الأولين ولا من الآخرين، فان جميع الأنبياء علي دين الاسلام هو يتضمن الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته . قال تعالى «ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله وأجتنبوا الطاغوت» وقال تعالى «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه إلا اله إلا أنا فاعبدون» . وقال تعالى عن الخليل [عليه السلام] : «إذ قال لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدينى وجعلها كلمة باقية فى عقبة لعلهم يرجعون» . وقال تعالى عنه «أفرأيتم ماكنتم تعبدون انتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدوّ لى إلا رب العالمين» وقال «قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده» وقال تعالى «واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون» وذكر عن رسله : نوح، وهود، وصالح، وشعيب ، وغيرهم «إنهم قالوا لقومهم اعبدوا الله مالكم من اله غيره» وقال عن أهل الكهف :«إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى .

وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا. وقال تعالى «إن الله لايغفر أن يشرك به» في موضعين من كتابه. وقال تعالى «إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار».

قال رحمه الله : والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور، وعباد الأنبياء والملائكة والصالحين؛ فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمدﷺ فانهم كانوا يدعونها، ويلتجئون اليها، ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله زلفى كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى «ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» الآية. وقال تعالى «والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى». وقال تعالى «فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما يفترون».

قال رحمة الله : ومعلوم أن المشركين لم يزعموا أن الأنبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والأرض، واستقلوا بشئ من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات. قال تعالى «ولئن سألتم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمه هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون» فهم معترفون بهذا مقرون به لاينازعون فيه، ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما أقروا به من هذه الجمل الخ. ومجرد الإتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولاعمل بمقتضاها لايكون به المكلف مسلماً بل هو حجة على ابن

آدم خلافاً لمن زعم أن الإيمان مجرد الاقرار كالكرامية، ومجرد التصديق كالجهمية.

وقد أكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على كذبهم مع أنهم أتوا بألفاظ مؤكدة بأنواع من التأكيدات، قال تعالى «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهدان المنافقين لكاذبون» فأكدوا بلفظ الشهادة، و«ان» المؤكدة، واللام والجملة الاسمية، فأكذبهم وأكد تكذيبهم بمثل ما أكدوا به شهادتهم سواء بسواء، وزاد التصريح باللقب الشنيع، والعلم البشيع الفظيع؛ وبهذا تعلم أن مسمى الإيمان لابد فيه من الصدق والعمل، ومن شهد أن لا اله إلا الله، وعبد غيره فلا شهادة له؛ وإن صلى وزكى وصام، وأتى بشيء من أعمال الاسلام. قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب ورد بعضاً : «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» الآية. وقال تعالى «إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا». وقال تعالى «ومن يدع مع الله الهاً آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه» الآية.

والكفر نوعان : مطلق، ومقيد، فالمطلق أن يكفر بجميع ماجاء به الرسول والمقيد أن يكفر ببعض ماجاء به الرسول، حتى أن بعض العلماء كفر من انكر فرعاً مجمعاً عليه كتوريث الجد والأخت وإن صلى وصام، فكيف بمن يدعو الصالحين، ويصرف لهم خالص العبادة ولبتها؟

وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة بل كفروا ببعض الألفاظ التي تجرى على ألسن بعض الجهال وإن صلى وصام من جرت على لسانه. والصحابة رضي الله تعالى عنهم كفروا من منع الزكاة وقاتلوهم مع إقرارهم بالشهادتين، والإتيان بالصلاة والصوم والحج فتشبيه

عباد القبور بأنهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم ويقال باسلامهم وإيمانهم، ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون. وأما مسائل القدر والجبر والارجاء والامامة والتشيع ونحو ذلك من المقالات والنحل فهو أيضاً فيها على ماكان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى، والدين يبرأ مما قالته القدريه النفاة، والقدرية المجبرة، وماقالته المرجئة، والرافضة، وما عليه غلاة الشيعة والناصبة، يوالي جميع أصحاب رسول الله ﷺ، ويكف عما شجر بينهم، ويرى أنهم أحق الناس بالعفو عما يصدر منهم، وأقرب الخلق الى مغفرة الله واحسانه لفضائلهم وسوابقهم وجهادهم وماجرى على أيديهم من فتح القلوب بالعلم النافع، والعمل الصالح، وفتح البلاد، ومحو آثار الشرك وعبادة الأوثان والنيران والأصنام والكواكب، ونحو ذلك مما عبده جهال الأنام، ويرى أن أفضل الأمة بعد نبيها، أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم أجمعين، ويعتقد أن القرآن الذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين وخاتم النبيين، كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود، ويبرأ من رأي الجهمية القائلين بخلق القرآن ويحكي تكفيرهم عن جمهور السلف أهل العلم والإيمان، ويبرأ من رأي الكلابية اتباع (عبد الله بن سعيد بن كلاب) القائلين بأن كلام الله هو المعنى القائم بنفس البارى، وإن مانزل به جبريل حكاية أو عبارة عن المعنى النفسي، ويقول : هذا من قول الجهمية. وأول من قسم هذا التقسيم هو ابن كلاب، وأخذ عنه الأشعرى[1] وغيره كالقلانسي. ويخالف الجهمية فى كل ماقالوه وابتدعوه في دين الله، ولايرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المخالفة لهدى رسول الله ﷺ وسنته فى العبادات والخلوات والأذكار المخالفة المشروع، ولايرى ترك

---

(١) ثم رجع الاشعرى عن هذه المقالة وقرر مذهب السلف كما سيأتى.

السنن والاخبار النبوية لرأي فقيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده، بل السنة أجل في صدره وأعظم عنده من أن تترك لقول أحد كائناً من كان. قال عمر ابن عبد العزيز رحمه الله : لا رأي لأحد مع سنه سنها رسول الله ﷺ. نعم عند الضرورة، وعدم الاهلية، والمعرفة بالسنن والاخبار. وقواعد الاستنباط والاستظهار يصار الى التقليد؛ لا مطلقاً بل فيما يتعسر ويخفى؛ ولايرى ايجاب ما قاله المجتهد الا بدليل تقوم به الحجة من الكتاب والسنة خلافا لغلاة المقلدين ويوالي الأئمة الاربعة؛ ويرى فضلهم وامامتهم وأنهم من الفضل والفضائل في غاية ورتبة يقصر عنها ا لمتطاول؛ ويوالي كافة أهل الاسلام وعلمائهم : من أهل الحديث والفقه والتفسير؛ وأهل الزهد والعبادة؛ ويرى المنع من الانفراد عن أئمة الدين من السلف الماضين برأي مبتدع، أو قول مخترع، فلا يحدث في الدين ماليس له أصل يتبع وما ليس من أقوال أهل العلم والأثر؛ ويؤمن بما نطق به الكتاب، وصحت به الاخبار، وجاء الوعيد عليه : من تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ ولايبيح من ذلك إلا ما أباحة الشرع وأهدره الرسول، ومن نسب اليه خلاف هذا فقد كذب وافترى وقال ماليس له به علم، وسيجزيه الله ماوعد به أمثاله المفترين. وأبدى رحمه الله من التقارير المفيدة، والابحاث الفريدة، على كلمة الاخلاص والتوحيد شهادة أن لا إله إلا الله مادل عليه الكتاب المصدق، والاجماع للمستبين المحقق، من نفي استحقاق العبادة والآلهية عما سوى الله، واثبات ذلك سبحانه على وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته، وان هذا هو معناها وصفاً ومطابقةً خلافاً لمن زعم غير ذلك من المتكلمين كمن يفسر ذلك بالقدرة على الاختراع، أو بأنه تعالى غني عما سواه من مفتقر اليه ماعداه، فان هذا لازم المعنى إذ الاله الحق لايكون إلا قادراً غنياً عما سواه. وأما كون هذا هو المعنى المقصود بالوضع فليس

كذلك. والمتكلمون خفي عليهم هذا، وظنوا أن تحقيق توحيد الربوبية والقدرة هو الغاية المقصودة والغناء فيه هو تحقيق التوحيد، وليس الامر كذلك بل هذا لايكفي في الايمان، وأصل الاسلام، إلا إذا أضيف اليه واقترن به توحيد الالهية، وافراد الله تعالى بالعبادة والحب والخضوع والتعظيم والانابة والتوكل والخوف والرجاء وطاعة الله وطاعة رسولهﷺ. هذا أصل الاسلام وقاعدته، والتوحيد الأول توحيد الربوبية والقدرة والخلق والايجاد هو الذي بني عليه توحيد العمل والارادة، وهو دليله الاكبر، وأصله الاعظم كما قال الله تعالى «وإلهكم اله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم» الى آخر الآيات. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

إن كان ربك واحداً سبحانه فاخصصه بالتوحيد مع إحسان

أو كان ربك واحداً أنشاك لم يشركه إذ أنشاك رب ثاني

فكذاك أيضاً وحده فاعبده لا تعبد سواه يا أخا العرفان

وهذه الجمل منقولة عن السلف والأئمة من المفسرين وغيرهم من أهل اللغة إجمالا وتفصيلا.

وقد قرر رحمه الله تعالى على شهادة أن محمداً رسول الله من بيان ماتستلزمه هذه الشهادة، وتستوعبه، وتقتضيه من تجريد المتابعة، والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير، والنصرة والمتابعة والطاعة، وتقدم سنتهﷺ على كل سنة وقول، والوقوف معها حيثما وقفت، والانتهاء حيث انتهت في أصول الدين وفروعه، باطنه وظاهره، خفيه وجليه، كليه وجزئيه، ماظهر به فضله، وتأكد علمه ونبله، وانه سباق غايات، وصاحب آيات، لايشق غباره ولاتدرك في البحث والافادة آثاره. وأن أعداءه ومنازعيه. وخصومه في الفضل وشانيه، يصدق عليهم المثل السائر بين أهل المحابر والدفاتر :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ـــ فالناس أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ـــ حسداً وبغياً – إنه لذميم

وله رحمه الله تعالى من المناقب والمآثر مالا يخفى [على] أهل الفضائل والبصائر. ومما اختصه الله به من الكرامة تسلط أعداء الدين وخصوم عباد الله المؤمنين، على مسبته، والتعرض لبهته وعيبه. قال الشافعي رحمه الله تعالى : «ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ إلا ليزيدهم الله بذلك ثواباً عند انقطاع أعمالهم» وأفضل الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر وقد ابتليا من طعن أهل الجهالة والسفاهة بما لايخفى.

وما حكيناه عن الشيخ حكاه أهل المقالات عن أهل السنة والجماعة مجملا ومفصلا. وهذه عباره أبي الحسن الأشعرى فى كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) قال أبو الحسن الأشعرى : جملة ماعليه أصحاب الحديث وأهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسوله وماجاء من عند الله، ومارواه الثقات عن رسول الله ﷺ لايردون من ذلك شيئاً. والله تعالى إله واحد فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله. وأن الجنة حق وأن الله حق. وأن الساعة آتية لاريب فيها. وأن الله يبعث من في القبور. وأن الله تعالى على عرشه كما قال «الرحمن على العرش استوى» وأن له يدين بلا كيف كما قال «لما خلقت بيدي» وكما قال «بل يداه مبسوطتان» وان له عينين بلا كيف، وان له وجهاً جل ذكره كما قال تعالى «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام»، وأن اسماء الله تعالى لايقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن الله تعالى عالم كما قال «أنزله بعلمه» وكما قال «وماتحمل من أنثى ولاتضع الا بعلمه» وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة وأثبتوا لله كما قال «أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة» وقالوا إنه لايكون فى الأرض

من خير ولاشر إلا ماشاء الله وان الاشياء تكون بمشيئة الله تعالى كما قال «وماتشاؤن الا أن يشاء الله» ، وكما قال المسلمون : ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن . وقالوا إن أحداً لايستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر على أن يخرج عن علم الله تعالى وان يفعل شيئاً علم الله أنه لايفعله ، وأقروا أنه لا خالق الا الله ، وأن أعمال العباد يخلقها الله ، وأن العباد لايقدرون أن يخلقوا شيئاً ، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين بمعصيته ، ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولاهداهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين ، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم ، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، خير وشره ، حلوه ومره ، ويؤمنون أنه لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله كما قال ، ويلجؤن أمرهم الى الله ، ويثبتون الحاجة الى الله فى كل وقت والفقر الى الله فى كل حال ، ويقولون ان القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام فى الوقف واللفظ فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم لايقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولايقال غير مخلوق ؛ ويقولون إن الله تعالى يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، ويراه المؤمنون ، ولايراه الكافرون ، لانهم عن الله محجوبون ، قال تعالى «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» ؛ وأن موسى [عليه السلام] سأل الله تعالى الرؤية فى الدنيا ، وان الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فأعلمه بذلك أنه لايراه فى الدنيا بل يراه فى الآخرة ولم يكفروا أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنى والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر وهم بما معهم من الايمان مؤمنون وان ارتكبوا الكبائر ، والايمان عندهم هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله

وبالقدر خيره وشره، حلوه ومره؛ وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والاسلام هو أن يشهد أن لا اله إلا الله على ماجاء في الحديث والإسلام عندهم غير الإيمان؛ ويقرون بأن الله مقلب القلوب؛ ويقرون بشفاعة رسول ﷺ وأنها لأهل الكبائر من أمته؛ وبعذاب القبر، وأن الحوض حق، والمحاسبة من الله للعباد حق، والوقوف بين يدى الله حق ويقرون بأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص، ولايقولون مخلوق ولاغير مخلوق ويقولون أسماء الله هى الله، ولايشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى نزلهم حيث شاء، ويقولون أمرهم الى الله أن شاء عذبهم وان شاء غفر لهم؛ ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ماجاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ؛ وينكرون الجدل والمراء فى الدين والخصومة فى القدر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى ذلك الى رسول الله ﷺ. ولايقولون «كيف» ولا «لم» لان ذلك بدعة، ويقولون إن الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرض بالشر وان كان مريداً له. ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائلهم، ويمسكون عما شجر بينهم : صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضى الله عنهم، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدين المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد النبى ﷺ؛ ويصدقون بالاحاديث التى جاءت عن رسول ﷺ ان الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر؟ كما جاء فى الحديث عن رسول ﷺ؛ ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله تعالى «فإن تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول»؛ ويرون اتباع من سلف من

أئمة الدين ولا يبتدعون في دينهم مالم يأذن به الله؛ ويقرون أن الله تعالى يجئ يوم القيامة كما قال «وجاء ربك والملك صفاً صفاً» وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال «ونحن أقرب اليه من حبل الوريد»، ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر وفاجر، ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ الى آخر عصابة تقاتل الدجال، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لايخرج عليهم بالسيف، وألا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى بن مريم يقتله؛ ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل اليهم، ويصدقون بأن في الدنيا سحرة، وأن الساحر كافر كما قال تعالى، وأن السحر كائن موجود في الدنيا؛ ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات مات بأجله، وكذلك من قتل قتل بأجله، وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أو حراماً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لاتنسخ القرءان وأن الاطفال أمرهم الى الله أن شاء عذبهم وان شاء فعل بهم ما أراد، وأن الله عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون وأن الأمور بيد الله تعالى، ويرون الصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل، والنصيحة للمسلمين، ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنى وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازراء على الناس والعجب، ويرون مجانبة كل داع الى بدعة، والتشاغل بقراءة القرءان وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع

التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه. وبكل ماذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب، وماتوفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل.

﴿ القبائل الساكنة اليوم في نجد ﴾

من عشائر نجد (مطير) وهي قبيلة كثيرة العدد مشهورون بالاقدام والشجاعة. وهي عدة بطون منها (الدويسي) و(الموهمة)[١] و(جبلان) و(ذوو عون) و(الملاعية)[٢] (ومسيلم) و(برية)[٣] (والمريخات) و(الهوامل) والمشهور أنهم من قحطان. وفي نهاية الارب [للقلقشندي] أنهم بطن من بني طسم[٤] من العماليق من العرب العاربة كانت مساكنهم مع قومهم من بني طسم بيثرب الى أن أخرجهم منها بنو اسرائيل.

ومنها (العجمان) وهم أهل شجاعة واقدام، ومن بطونها (آل معيض) و(آل جيش) و(آل سليمان) و(آل هتلاب)[٥] (وآل محفوظ) (والصناعن) و(الشامر) و(آل مصرع) و(الشواولة) و(آل مفلح) وهم من قحطان.

ومنها آل (مرة) وهم موصوفون بالبأس والقوة. ومن بطونها (آل جابر) و(آل عذبة) و(آل غفران) و(آل فهيد) و(آل علي). ومنها (آل عتيبة) وهم قبيلتان: (الرومة)[٦] و(برقا) وكل منهما عدة بطون. وهم على مافي (النهاية) بطن من جذام من القحطانية بنو عتيبة بن أسلم بن مالك بن

---

(١) الصواب «الموهة». (٢) الصواب «الملاعبة» بالموحدة.

(٣) كذا والصواب (بريه) بالضم ثم الفتح وياء ساكنة وهاء.

(٤) في الاصل «طاسم» وفي النهاية (ص ٣٤٠ – طبعة بغداد): «جاشم»!

(٥) الصواب «آل هتلان». (٦) لعله الروقة.

شنوءة ابن بديل بن جشم بن جذام. قال أبو عبيد : وهم اليوم ينسبون فى بنى شيبان فيقولون عتيبة بن عوف بن شيبان، قال : واليهم ينسب جمرة عتيب بالبصرة قال الجوهرى : أغار عليهم بعض الملوك فسبى الرجال فكانوا يقولون: اذا كبر صبياننا لم يتركونا حتى يفتكونا فلم يزالوا عنده حتى هلكوا فضربت لهم العرب مثلا فقالوا «أودى عتيب» وفى ذلك يقول الشاعر:

ترجيها وقد وقعت بقر كما ترجو أصاغرها عتيب[1]

ومنها (قحطان) وهم من أهل النجدة والقوة والعدة والعدد. وينقسمون الى بطون (الجمالين) و(العرينات) و(البنطة) و(الصمحلة) و(الجبور) و(آل عدى) و(المذارية) و(العيادى) و(الضعمة) و(مليح) و(القرتيات)[2] (والعزة). وهم من بنى عامر بن صعصعة من العدنانية.

ومنها (السهول)[3] وهم خمس قبائل وهم (بنو سهل) بطن من بنى بحر من لخم من القحطانية.

ومنها (الدواسر) وهم حاضرة وبادية. وسكنة البادية (المساعرة) و(آل أبى سباع) و(آل بريدة) و(آل المخاريم)[4] و(المرجبان) و(الخييلات) و(الشوافا) و(الغيثيات)[5] و(آل أبى حازم) و(آل عمار) وهم بطن من عرب اليمن ولم ينسبوا الى أحد.

وأما (بنو خالد)[6] فكانوا امراء الاحساء فتغلب عليهم (ابن سعود) وأخذ منهم الاحساء. وهم قبائل منهم (المهاشير) و(الجبور) والمشيخة فى (آل حميد) أهل الكرم والشجاعة. وفى نجد قبائل غير من ذكرناهم.

---

(١) البيت لعدى بن زيد. (٢) لعله «القريشات».

(٣) فى الاصل «الشهول» بالشين المعجمة.

(٤) لعله «المخازيم» بالزاى. (٥) لعله «الثياثات».

(٦) عقب خالد بن الوليد انقرض على ما أجمع عليه علماء النسب فهؤلاء ليسوا من أعقابه اهـ من هامش نسخة المؤلف.

﴿حـــرب﴾

هذه قبيلة عظيمة سكنوا بوادى (المدينة) وينقسمون الى قبيلتين : (بنى علي) و(مسروح) ومن كل منهما تتفرع عدة بطون، ولم يصرح أحد من علماء النسب بنسبهم. وفي بوادى المدينة بعض من عتيبة، وكذا فى بوادى مكة، وكذا من (البقوم). وأما (هذيل) فهم فى بوادى مكة خاصة وهم بطن من خندف من مضر. وقد يوجد بعض أعراب حرب حول مكه. وأما (ثقيف) ففى الطائف، وهم من هوازن من العدنانية.

وأما عرب (عمان) فهم قبائل كثيرة منهم (المناصير) و(نعيم) و(السعد) وكل من هذه القبائل يتفرع الى بطون. وهم بعض من الآزد نزلوا عمان لما تفرق الازد، فى حادثة السد.

وعرب بادية اليمن كثيرون، ومنهم (غامد) و(زهران) و(بجيلة) و(أسعد) و(شهران) و(زبيد) وبعض من (يام). وكلهم من قحطان، ويتفرع من كل من هؤلاء بطون كثيرة.

وعرب جزيرة البحرين والقطيف وهجر من (ربيعة) وغيرهم. ومن العرب من لايعرف له نسب أصلا، والعرب لايقيمون لهم وزنا، وهم (الصليب) و(العوازم) و(الرشايدة).

﴿امراء نجد وذكر نسبهم وسائر أحوالهم﴾

أمراء نجد اليوم من (آل رشيد) ومقرهم جبل أجأ وسلمى، وأحوالهم وما هم عليه نتكلم عليها فى غير هذا الموضع. وكلامنا فى الامراء الذين كانوا قبلهم فان لهم شأنا فى التاريخ، وهم كثيرون منهم :

عبد الله بن فيصل بن تركى بن عبد الله بن سعود بن عبد العزيز ابن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعه بن

مانع المريدى العنيزى، وهو من مشايخ عنيزة. وكان (مانع) المذكور جد آل مقرن وآل وطبان يسكن فى بلد الدروع من نواحى القطيف، ثم صار بينه وبين (درع) رئيس حجر اليمامة من بنى عمه مراسلة ومواصلة لما بينهما من الرحم فاستدعاه ابن درع من القطيف وأعطاه من ملكه أرض (المليبد) و(غصيبة) المعروفتين فى الدرعية، فاستقر هو وأولاده فيهما. وكان مافوق المليبد وغصيبة (لآل يزيد) من (آل وغيثر[1]) من بنى حنيفة الموجودين اليوم الى مادون (الجبيلة)، ومن الجبيلة الى (الأبكين) الى (حريمله) لحسن بن طوق جد آل معمر.

ثم ولد لمانع المذكور (ربيعه) وصارت له صولة واتسع ملكه وحارب آل يزيد.

ثم ظهر بعد ذلك ابنه (موسى) وصارت له شهرة أعظم من [شهرة] أبيه ربيعه واستولى على الملك فى حياة أبيه وصارت له وقعة مع آل يزيد، وجرح جروحا كثيرة، وضيقوا عليه، واحتال على قتل ابيه ربيعه فجرحه جراحات كثيرة!!! وهرب ربيعة الى أحمد بن حسن بن طوق رئيس العيينة فأجاره وأجله وأكرمه لما بينهما من سابقة المعروف .. ثم إن موسى جمع جموعا من (المبردة) وغيرهم ممن كان عنده من الموالفة، وأغار على آل يزيد صباحا فى (النعيمة) و(الوصيل) فتحاربوا وصارت الغلبة لموسى فقتل من آل يزيد أكثر من ثمانين رجلا، واستولى على ملكهم ومنازلهم، ولم تقم بعد ذلك لآل يزيد قائمة، وكانوا يضربون المثل بهذه الواقعة فيقال «صبحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد».

واستمر موسى بن ربيعه فى الولاية الى أن توفى، فتولى ابنه (ابراهيم) الى أن توفى، فتولى ابنه (مرخان).

---

(١) فى تاريخ ابن بشر «دغيثر».

وكان (لمرخان) ولدان : (ربيعة) و(مقرن). فأما (ربيعة) فولده (وطبان) جد آل وطبان القاطنين في قصبة الزبير.

ولوطبان المذكور عدة أولاد ذكور قيل إنهم أربعة عشر ولداً ذكراً منهم (مرخان أبو زيد) الذي تولى الدرعية قبل آل مقرن، وغدره محمد بن حمد ابن عبد الله بن معمر الملقب بخرفاش فقتله وقتل دغيم بن فايز المليحي، وكان معهما محمد بن سعود من آل مقرن فهرب ونجا.

ثم بعد ذلك استقل بالدرعية، واستولى أولاده على جميع نجد وهم (آل مقرن) الذين منهم (ابن سعود) المشهور. ومنهم (محمد بن وطبان) جد آل ثاقب وقد جرى بين آل وطبان قطيعة وسفك دماء.

ويجتمع (آل مقرن) و(آل وطبان) في (مرخان)، وهما يجتمعان مع أهل (خرما) وأهل (أبي الكباش) في (ابراهيم بن موسى) المذكور.

وقتل (وطبان) المذكور ابن عمه (مرخان بن مقرن) وهرب من نجد قبل وأتى الى قصبة الزبير قرب البصرة.

وأما (مقرن بن مرخان بن ابراهيم) جد (آل سعود) المشهورين فله من الاولاد (محمد) و(عياف) و(عبد الله).

فمحمد جد آل سعود. وعبد الله جد آل ناصر. وعياف جد آل عياف. فآل مقرن هم ذرية محمد، وذرية عبد الله، وذرية عياف، وذرية مرخان الذي قتله ابن عمه وطبان.

وخلف محمد بن مقرن من الأولاد (مقرناً) و(مسعوداً) فمقرن هذا ليس له عقب الا (عبد الله) الذي جعله عبد العزيز بن محمد بن سعود أميراً في (الرياض) حين تغلب عليها.

وأما (سعود) فله عدة أولاد منهم (محمد) و(مشاري) و (ثنيان) و(فرحان).

فمحمد هو الذى استقل بالدرعية، وكذا أولاده من بعده الى عصرنا هذا، وهو الذى آوى الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب عالم نجد المشهور. فانه لما كان في بلد العيينة عند عثمان بن معمر ورأى منه الجفاء قصد (محمد بن سعود) المذكور فآواه وأيده وامتثل أمره، وجهز الجيوش لنصر دعوته، وترويج طريقته.

و(مشاري) بن سعود بن محمد بن مقرن هو الذى أيد أخاه محمد بن سعود في نصرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكذا ولده (حسن بن مشارى) فانه قاد السرايا، وقاتل فى الحصون والبلاد والقرى مع ابن عمه (عبد العزيز) بن محمد ابن سعود؛ وله أولاد فرسان وشجعان قتلوا فى حرب ابراهيم باشا بن محمد على باشا والي مصر لما حاصر الدرعية، وكذا ابنه (عبد الرحمن) وخلف عبد الرحمن ولداً اسمه (مشاري) الذى قتل ابن عمه (تركي) أمير نجد وأما (ثنيان) بن سعود بن محمد بن مقرن فانه كان أعمى ولكن كان مفتوح البصيره مفرط الذكاء وكان مستشاراً لأخيه الامير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن فى الأمور.

ومن ذريته (عبد الله) بن ثنيان بن ابراهيم بن ثنيان المذكور. و(فيصل) ابن ناصر بن عبد الله بن ثنيان المذكور. و(محمد) بن يوسف بن ثنيان الذى كان فى مصر ثم جاء الى ابن عمه فيصل أمير نجد. وأما (فرحان) بن سعود بن محمد بن مقرن فليس من ذريته إلا (سعود) بن ابراهيم بن عبد الله بن فرحان والباقون من جميع (آل مقرن) إنما هم ذرية محمد بن مقرن جد آل سعود أمراء نجد فى هذا العصر، وذرية أخيه عياف بن مقرن جد آل عياف المشهورين و(لنرجع) إلى أولاد محمد بن سعود بن محمد بن مقرن جد آل سعود أمراء نجد : فخلف (محمد) بن سعود (عبد العزيز) وهو الذى قاد الجيوش لنصرة دعوة ابن عبد الوهاب، وبلغت سراياه

وعماله أقصى بلاد نجد، وزالت به الحروب التى كانت تقع بين قبائل نجد، وحصل الأمن والأمان في البادية والحضر، وكانت الابل والخيل والانعام ترعى في الصحاري وتلد وليس عندها سوى رجل واحد لايستطيع أحد من قبائل العرب أن يأخذ منها شيئاً.

ثم خلف عبد العزيز (سعودا) وهو أيضا قد قاد الجيوش على الخيل العتاق والركائب النجب، وأذعنت له صناديد العرب، وذلت له رؤساؤهم؛ بيد أنه منع الناس عن الحج؛ وخرج على السلطان، وغالى في تكفير من خالفهم، وشدد في بعض الاحكام، وحملوا أكثر الامور على ظواهرها كما غالى الناس في قدحهم. والإنصاف الطريقة الوسطى لا التشديد الذى ذهب اليه علماء نجد وعامتهم[1] من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله، ومنعهم الحج. ولا التساهل الذى عليه عامة أهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله وبناء الابنية المزخرفة بالذهب والفضة والالوان المختلفة على قبور الصالحين والنذر لهم وغير ذلك من الامور التى نهى عنها الشارع والحاصل أن الافراط والتفريط في الدين ليس مما يليق بشأن المسلمين، بل الاحرى بهم اتباع ماعليه السلف الصالح، وتكفير بعضهم لبعض مستوجب للمقت والغضب.

---

(١) الغلو أو التعصب الذى التزمه بعض عامة نجد في بعض الاعمال هو مالا يسلم من مثله خواص الناس في كل عصر ومصر أبدا.

يقولون في هذي البلاد تعصب   وأي بلاد ليس فيها تعصب

ولكن علماءهم لايسكتون لهم على منكر ارتكبوه وحاشا لله أن يكون علماء نجد الاعلام غلاة متشددين يلتزمون العزائم واجتناب الرخص ولايفقهون اسرار التشريع.

ولو اتيح للأستاذ رحمه الله اعادة النظر في الكتاب لحذف هذه العبارة التى جرى بها قلمه على خلاف مايعتقده في النجديين ومعتقداتهم السلفية التى لم يحولوا فيها عن هدى الرسول الاعظم ﷺ قيد شعرة كما حققنا ذلك من كتبهم وبلغنا من ثقات الرواة ...

ثم خلف سعود بن عبد العزيز (عبد الله) وهو الذى استولى عليه إبراهيم باشا بن محمد على باشا والي مصر، وحبسه، وذهب به الى مصر، ثم أرسله الى اسلامبول أيام السلطان محمود خان فأمر بضرب عنقه فى ميدان جامع السلطان بايزيد بين ملاء من الناس. وعبد الله هذا وإن كان قد علم كأسلافه القبائل أحكام الدين، وأمرهم باقامة الجماعات فى الأوقات الخمسة بحيث لايتخلف أحد منهم فى بلاد نجد عنها الى عصرنا هذا إلا انه قد أخطأ فى تجاسره على بلاد السلطان، ولو أنه اكتفى بنجد ومايليه من عمان وجزيرة البحرين وغيرهما لاستقام أمره، وفاز بثواب تعليمه أحكام الدين للقبائل الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

وخلف سعود بن عبد العزيز (فيصلا) و(ناصرا) و(تركيا) و(ابراهيم) و(سعدا) و(فهدا) و(مشارى) و(عبد الرحمن) و(عمر) و(حسنا).

فأما (فيصل) فقد قتل فى حرب الدرعية بعد أن بارز وحصلت له الشهرة. وكذا قتل (ابراهيم) فى تلك الحرب. و(ناصر) و(تركى) ماتا قبلهما. و(سعد) و(فهد) و(مشارى) و(عبد الرحمن) و(عمر) و(حسن) استصحبهم ابراهيم باشا الى مصر مع أولادهم ونسائهم وماتوا هنالك.

وأما (محمد بن سعود) فمن أبنائه (عبد الله) وهو الذى نصر أخاه (عبد العزيز) وقاتل معه أشد القتال، وقاتل الفرسان والابطال، واشتهر فى البسالة والشجاعة، فكم من كتيبه كر عليها ومزقها وفل جمعها.

ثم قام مقامه ابنه (تركى) بن عبد الله الذى قاد القبائل الى طاعته، وأمرهم باقامة أركان الدين بعد أن تهاون أكثرهم بالصلاة، وتركوا الصيام، وعادوا الى ماكانوا عليه من شعائر الجاهلية، فقاتلهم على ذلك حتى أذعنوا وأطاعوا.

ثم خلفه (فيصل بن تركى) وهو الذى ظهر من حبس مصر، واستولى

على بلاد نجد، وكانت بيد (عبد الله بن ثنيان) فحاربه أشد الحرب، فنصره الله عليه من شدة بأسه، فدانت له القبائل والبلدان، وسلكت جنوده في نجد وعمان، وجمع في سياسته بين الشدة واللين، وكثرت عطاياه، وكان كثير الإكرام لأهل العلم وحملة القرآن، رءوفاً بالفقراء والأرامل والأيتام، غير مائل الى سفك الدماء. وقد مدحه الشيخ (عثمان) قاضي نجد بقصيدة منها:

عفيف شريف النفس للفضل عارف   حليم كريم سالم القلب منصف

ولفيصل بن تركي ثلاثة أولاد : (عبد الله) و(محمد) و(سعود). فأما (عبد الله) ... ...[1] وأما (محمد) فهو مع أخيه عبد الله وفي طاعته. وأما (سعود) فقد كان بينه وبين أخيه عبد الله منافسه فهرب الى العسير خوفاً منه، ثم عاود وتغلب على الاحساء والقطيف وهو بصدد الامارة في نجد، ولم يتمكن منها الى أن استولت عليها الدولة العثمانية. فهذا ماينطق بنسب آل سعود.

﴿رسم حكومتهم﴾

كانوا يأخذون من أهل الحضر من كل مائة صاع من الحبوب خمسة أصوع، ومن كل مائة صاع تمر خمسة أصوع .. ومن أهل البادية زكاة الابل على الوجه المفصل في كتب الشريعة، وكذا من الغنم.

وأما مايكون ريعه من الأنهر بلا سقي كالأحساء والقطيف ونحوهما فكان يؤخذ من المائة عشرة، وقد تضيق الواردات عن مؤونة ماعليه لمشايخ القبائل من المرتبات، ومؤونة نفسه وأهله وأقاربه وعلمائه وقضاته والفقراء والعاجزين عن الكسب ممن في بلاده وقراه. وليس لأمراء نجد

---

(١) بياض في الاصل مقدار كلمتين.

عسكر موظف للحرب، بل إذا أراد القتال جمع من العشائر والقبائل نحو مائة الف. وأما الموظفون في خدمته على الدوام فنحو الف. وكان نحو خمسمائة في الاحساء ومثلها في القطيف ومثلها في عمان. ولعسكره مرتبات جارية من القديم على أهل البلدان والبوادي : كلٌ يعطي ماعليه بحسب قدرته ووسعه. وقد تقاتل المائة ألفاً من غيرهم لما هم عليه من البأس والشجاعة وهم المراد بقوله تعالى «ستدعون الى قوم أولى بأس شديد» وفي بلاد نجد كثير من التجار وذوي الثروة، والكثير منهم في نواحي البصرة، ومنهم في الكويت، ومنهم في الهند.

﴿ مكاتبات امراء نجد من آل سعود ﴾

من المعلوم أن مكاتبات عرب نجد على عهدها السابق من الاختصار والبعد عن التكلف ولاسيما إذا كان المخاطب العام والخاص فلابد حينئذ ان تكون المخاطبة بسيطة بعيدة عن أسباب الإخلال بفهم العموم. وأمراء نجد لهم مخاطبات خاصة ببعض الأشخاص وأخرى عامة، وقد ألحقنا ببعضها بعض فضلائهم فأدرجناها في هذا المقام تحفة للقارئين.

فمن ذلك ماكتبه (تركي بن عبد الله) إلى أهل نجد من حاضر وباد في النصيحة ولزوم جادة أدب الشريعة الغراء. وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن عبد الله — الى من يراه من المسلمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فموجب الخط ابلاغكم السلام، والسؤال عن أحوالكم، والنصيحة لكم، والشفقة عليكم، والمعذرة من الله تعالى، إذ ولاني الله تعالى أمركم، والله المسئول المرجو أن يتولانا وإياكم في الدنيا والآخرة، ويجعلنا ممن إذا أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب

أستغفر الله تعالى منعم يحب الشاكرين ووعدهم على ذلك المزيد. قال الله تعالى «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد» .

فالذي أوصيكم به تقوى الله تعالى في السر والعلانية. قال الله تعالى : «ومَنْ يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون» وجماع التقوى أداء ما افترض الله سبحانه، وترك ماحرم الله، وأعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة، ولايخفاكم(١) ماوقع من الإخلال بها، والاستخفاف بشأنها وهي عمود الاسلام الفارقة بين الكفر والايمان، مَنْ أقامها فقد أقام دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وهي آخر ماوصى به النبيﷺ، وهي آخر وصية كل نبي لقومه، وهي آخر مايذهب من الدين، وهي أول مايحاسب عليه العبد يوم القيامة. وبعض الناس قد يسرع في صلاته ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلي وحده أو في نخله هو ورجاله والمسجد جار له. وفي الحديث «لاصلاة لجار المسجد إلا في المسجد»، وهم النبيﷺ أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار لولا مافيهم من النساء والذرية، وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه «لقد رأيتنا ومايتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق». وهذه أمور مايخفاكم وجوبها لكن الكبرى عدم إنكار المنكر وتزيين الشيطان لبعض الناس أن كلا ذنبه على جنبه. وفي الحديث «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتطرن على الحق اطراء أو ليسمنكم الله بعقابه». وكذلك الزكاة وبعض الناس يبخل ويستخف بها ويجعلها وقاية دون ماله والعياذ بالله تعالى وأنتم تعلمون أنها من أركان الاسلام. قال الله تعالى «والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم هذا ما كنزتم لأنفكسم

---

(١) الصواب ولايخفى عليكم.

ذوقوا ماكنتم تكنزون». وقال النبي ﷺ «مامن صاحب ذهب ولا فضة لايؤدى حق الله منه إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح وأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين الف سنه حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله أما الى الجنة واما الى النار، ثم ذكر عقوبة مانعها من الابل والبقر والغنم، وكل ما لاتؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه. ونصاب الزكاة تفهمونه. وعروض التجارة مثل الزرع الذى يدخره صاحبه ولو كان من زرع فقد زكى اذا حال عليه الحوال وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة أو تمر أو أثمانهما كل ماأعد التجارة تجب فيه عند الحول. والله يبتلى الغنى بالفقير، وطلب منكم اليسير، فمن أداها فنرجو الله تعالى أن يقبلها منه، ويخلفها عليه، ومن مكر بها فالله خير الماكرين، وكذلك معاملة الربا تفهمون أنها أكبر الكبائر وأن مرتكبها محارب لله ورسوله ﷺ. قال الله تعالى «يا أيها الذين آمنو لاتأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون» وقال تعالى «الذين لايأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذين يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون». وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه» فلعنهم سواء فدل هذا الحديث على أن الرضا بالمعصية معصية وأن من لم ينكر على العاصي كالمرائى فهو مثله. وفي حديث آخر «الربا سبعون ضربا أيسرها مثل من ينكح أمه» وفي الحديث أيضا «أربعة حق على الله لايدخلهم الجنة ولايذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه» ومن أنواع الربا الطعام بالطعام الى أجل، وبيع الذهب بالفضة، والفضة بالذهب،

والتفرقة قبل القبض، أوبيع الملح بالطعام قبل القبض. وفي الحديث (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح يداً بيد، وزناً بوزن، كيلا بكيل. فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي، فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد. ومنه القرض الذى يجر منفعه. وفي الحديث «كل قرض جر نفعاً فهو ربا» وكذلك قلب الدين بالدين على المعسر اذا كان في ذمته دراهم فعجز عن وفائها فأسلمها اليه بطعام وهذا يشبه ربا الجاهلية، وكذلك بيع العينة(١) وهي حرام بأن كان عند الرجل سلعة فاشتراها منه انسان الى أجل ثم اشتراها منه صاحبها الذى باعها بنقد دون ثمنها. وأنواع الربا لايمكن حصرها. فيلزم المسلم الذى له معاملة أن يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه. والجاهل يسأل العالم، والخطر عظيم يسخط الرب، ويمحق المال، فأنتم استعيذوا بالله، وتعانوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان. وكذلك المكاييل والموازين. وأنا ملزم كل أمير بأن يحضر مكاييل بلده صغارها وكبارها وينظر فيها عن الخلل وتكون على مكيال واحد. وكذلك تفعلون بالموازين، وتفقد الناس كل شهر، ولايحل بخس المكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذمي كما في الحديث «أد الامانة الى من ائتمنك ولاتخن من خانك» وكذلك تفقدوا الناس عن المعاشر الرديئة والذين يجتمعون على شرب الدخن والدشوق به وكل أهل بلد لابد أن يرتبوا مجالس الدرس في الجوامع فان كانت خاربة فلابد أن يعمروها، والذى يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه الينا. وأنا مطلق الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر اذا كان عن علم ينصح أولا ويؤدب ثانياً، ومن عارضه من خاص أو عام فأدبه الجلاء عن وطنه. وهذا من ذمتي في ذمة كل من يخاف الله واليوم

---

(١) في الاصل «العينة».

الآخر. وأنا أشهد الله عليكم أني برئ من ظلم من ظلمكم وأنا نصرة لكل صاحب حق وعون لكل مظلوم «واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» . وأعزكم الله بعد الذلة، وجمعكم بعد الفرقة، وكثركم بعد القلة، وآمنكم بعد الخوف. وبالاسلام أعطى الله مارأيتم والسلام».

ومن ذلك ماكتبه (فيصل بن تركي) أيضاً الى أهل نجد ناصحاً لهم ومحرضاً على فعل الخير واكتساب الصالحات وآمراً لهم بالمعروف، وناهياً عن المنكر. وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى من يراه المسلمين سلمهم الله تعالى. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فموجب الخط إبلاغكم السلام. لازلتم فى خير وعافية. والذى أوصيكم به تقوى الله تعالى فى الغيب والشهادة، والعمل بما يرضيه، وتجنب معاصيه، المعاداة والموالاة فيه، قال الله تعالى «تعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب» وأهم الامور تعلم مافرض الله تعالى من معرفة أصل دين الاسلام وأركانه وواجباته وجميع شرائعه ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة وقوام ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لابد فى كل ناحية من طائفة متصدين لهذا الامر كما قال الله تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» وقال تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» وأنا ملزم كل من يخاف الله تعالى ويرغب فى الفلاح أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يكون الآمر مراعياً للشروط فى ذلك بأن يكون عليما فيما يأمر به، عليما فيما ينهي عنه. حليما فيما يأمر

به، حليما فيما ينهى عنه. رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه. وألزم كل أمير أن يكون عوناً لهم وهم خاصته في الحقيقة، عون له على ماحمله الله تعالى من الأمانة. ويكون لديكم معلوماً أن واضع الجوائز عن المسلمين الحادر والظاهر إذا كانوا معروفين بأداه الزكاة من أمولهم الظاهرة والباطنة فهي راجعة اليهم على الوجه المشروع إن شاء الله تعالى. والمطلوب منكم الاستقامة على هذا الدين والاجتماع عليه، وقد رأيتم مافي الجماعة من المصالح العامة والخاصة، ومافي التفرق من الشر في أمر الدين والدنيا. أسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليكم بالقبول والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

ومن ذلك ماكتبه (فيصل بن تركي) أيضاً لأهل نجد يذكرهم بأسباب الخير. وهو هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي الى من يصل اليه الكتاب من المسلمين، وفقهم الله تعالى بالتمسك بالدين، الذي بعث الله به جميع المرسلين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فان أجمع الوصايا وأنفعها الوصية بتقوى الله. قال الله تعالى «ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله» وتقوى الله أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله. ومعظم التقوى والمصحح لأعمالها توحيد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذي بعثوا به الى العالمين وهو مبدأ دعوتهم لأممهم وهو معنى كلمة الاخلاص شهادة أن لا اله إلا الله فان مدلولها نفي الشرك في العبادة والبراءة منه واخلاص العبادة لله وحده. قال الله تعالى «فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص» وقد بين الله تعالى هذه الكلمة في كثير من الآيات المحكمات قال

الله تعالى «وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذى فطرني فانه سيهديني» .فهذا معنى لا إله إلا الله، وقد عبر عنها بمعناها من النفي والاثبات. قال الله تعالى «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة». والآيات فى بيان توحيد العبادة أكثر من أن تحصر. وهذا التوحيد هو الذى جحدته الامم المكذبة للرسل كما قل تعالى عن قوم هود «أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا» وجحده مشركو العرب ومن ضاهاهم من مشركي هذه الامة. قال الله تعالى «ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب». وأما مشركو العرب فأخبر الله عنهم انهم قالوا «اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ عجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشئ يراد. ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق». واحتج عليهم تعالى بما أقروا من توحيد الربوبية فانه من أقوى الحجج فيما جحدوه من توحيد الالهية كما قال تعالى «قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله قل أفلا تتقون». وأكثر الناس فى هذه الأزمنة وقبلها وقع منهم ماوقع من أولئك المشركين وهم يقرأون القرآن فعموا وصموا عن هذا التوحيد وأدلته التى هى أبين فى قلب المؤمن من الشمس فى وقت الظهيرة. فيامن يدعى معرفة هذا التوحيد! إعرف هذه النعمة وقدرها فانها أعظم نعمة أنعم الله بها على من عرفها وأحبها وعمل بها ولزمها، فقابلوها بالشكر ولاتكفروها بالإعراض عنها، واحذروا أن يصدكم الشيطان عن ذلك واعلموا أنه قد غلط فى هذا الطريق طوائف لهم علوم

وزهد وورع وعبادة، فما حصل لهم من العلم إلا القشور، وقد حرموا لبه وذوقه، وقلدوا أسلافا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل فيالها من مصيبة ما أعظمها! وخسارة ما أكبرها! فلا حول ولا قوة إلا بالله .واحذروا النفوس الامارة وفتنة الدنيا والهوى فان الاكثر قد افتتن بذلك، وظنوا أنهم قد سلموا وماسلموا، وتمنوا النجاة والتمني رأس مال المفلس، نعوذ بالله من سخطه وعقابه. وأنت ترى أكثر الناس معبوده دنياه لها يوالي وعليها يعادي، ولها يحب ويبغض، ويقرب ويبعد، وقد اشتغل بها عما خلق لأجله يبتهج بها. وقد ذم الله تعالى ذلك كما قال تعالى عند ذكره قارون «اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا» والصحيح أن الايمان والعمل الصالح والاسلام والقرآن هي النعم العظيمة، والفرح بها محمود ومحبوب الى الله تعالى قد أوجبه على عباده المؤمنين كما قال تعالى «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» فسر الأول بالأسلام، والثاني بالقرآن. وقال بعض الصحابة رضي الله تعالى عنه : «فضل الله الاسلام ورحمته أن جعلكم من أهله» فلا غناء لكم عن هذا التوحيد وحقوقه من فرائض الله تعالى وواجباته وأن يكون ذلك أكبر همكم، ومحصل عملكم، ومن أهم ذلك المحافظة على الصلوات الخمس حيث ينادى لها كما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون بعدهم، ولذلك عمرت المساجد وشرع الآذان فيها كما قال تعالى «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا الله قانتين» فلابد في المحافظة من استكمال شروطها وأركانها وواجباتها. فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى كما سبق في الآية. جعلها الله طهرة للانفس والأموال وزيادة وبركة وحجابا من النار، فالتزموا ماشرعه

الله تعالى وفرضه فإن فيه صلاح قلوبكم ودنياكم وأخراكم. فاسألوا الله التوفيق. واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، من فرائض الدين وأركانه، قال بعض السلف : أركان الاسلام عشرة : الشهادتان، والصلاة والزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والامر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله، والجماعة، والسمع والطاعة.

وهذه العشرة لايقوم الاسلام حق القيام الا بجميعها، والقرآن يرشد الى ذلك جملة وتفصيلا كما قال تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» وقال تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فالله الله، عباد الله! فى مراجعة دينكم الذى نلتم به مانلتم من النعم، وسلمتم به من النقم، وقهرتم به من قهرتم فقوموا به حق القيام فجاهدوا فى الله حق جهاده، وعظموا أمره ونهيه، واعملوا بما شرعه، وتعطفوا على الفقراء والمساكين، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم كما قال تعالى «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون. ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون. لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون».

فاقرأوا هذه النصيحة فى جميع مساجد البلدان، وأنسخوها، وأعيدوا قراءتها فى كل شهرين، واعلموا أنكم مستقبلون عاماً جديداً فتوبوا الى الله. نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم أجمعين.

﴿ بعض من اشتهر من علماء نجد الأعلام وماحدث منهم ﴾

نشأ فى نجد علماء أعلام، وفضلاء كرام، لاسيما فى علوم الدين،

وشريعة سيد المرسلين، ولايمكن استيعابهم فى مثل هذا المقام، فكم برع فيهم امام ولنذكر بعض من اشتهر ذكره فى البلاد، وشاع صيته بين العباد. منهم :ـ

﴿ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﴾

ابن سليمان بن على بن محمد بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد ابن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن على بن وهيب التميمى النجدى صاحب الدعوة المشهورة .

وخصومهم يسمون أتباعه (الوهابية) وهذه النسبة ليست بصحيحة والنسبة فى الحقيقة انما هى الى الشيخ محمد لانه [هو] الذى دعا الناس الى ترك ما كانوا عليه من البدع والاهواء، ونصر السنة ، وأمر باتباعها، وقد خالف أباه فيما كان عليه وجرت بينهما مناظرات كما سيأتى أن شاء الله .

وقد نشأ الشيخ محمد فى بلد (العيينة) من بلاد نجد فى حجر أبيه الشيخ (عبد الوهاب بن سليمان) القاضى فى بلد العيينة فى زمن امارة عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر المشهور صاحب العيينة التى تزخرفت فى أيامه ، وذلك قبل انتقال الشيخ عبد الوهاب الى بلد (حريملة) من بلاد نجد ـ فقرأ الشيخ محمد على أبيه الفقه على مذهب الإمام (احمد بن حنبل) ، وكان الشيخ محمد فى صغره كثير المطالعة لكتب التفسير والحديث والعقائد، فصار ينكر على أهل نجد كثيراً من الامور فلم يسعفه على ذلك أحد وإن استحسن إنكاره بعض الناس؛ فسافر من بلد العيينة الى حج بيت الله الحرام فلما قضى نسكه سار الى المدينة فأخذ فيها عن الشيخ العالم (عبد الله بن ابراهيم بن سيف) من آل سيف رؤساء بلد (المجمعة)

المعروفة فى ناحية سدير من نجد. والشيخ عبد الله هو والد الشيخ (ابراهيم) مصنف كتاب (العذب الفائض، فى علم الفرائض).

وأنكر الشيخ محمد استغاثة الناس بالنبىﷺ عند قبره. ثم رحل الى (نجد) ثم الى (البصرة) يريد (الشام). فلما ورد البصرة أقام فيها مدة وأخذ فيها عن العالم الشيخ (محمد المجموعى) من أعلى المجموعة محلة من محال البصرة؛ فأنكر أيضاً أشياء كثيرة على أهل البصرة فأحس الناس به فآذوه وأخرجوه وقت الهجيرة، ولحق بعض الاذى بالشيخ محمد المجموعى أيضاً لمؤاواته للشيخ محمد. فلما خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب هارباً من البصره، وتوسط الطريق فيما بين البصرة وبلد (الزبير) فى وقت الصيف فى شدة الحر وكان ماشياً على رجليه، كاد يهلك من شدة العطش، فوافاه رجل من أهل بلد الزبير يسمى «أبا حميدان» ووجده من أهل العلم فسقاه الماء وحمله على حماره حتى أوصله الى بلد الزبير.

ثم أن الشيخ محمد أراد السفر الى (الشام) فضاق زاده[1] فانثنى عزمه عن الشام، فقصد (الحساء) فنزل بها عند الشيخ العالم (عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف)[2] الشافعى الاحسائى.

ثم خرج من الاحساء، وقصد بلد (حريملة) من نجد، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب قد انتقل اليها من بلد العيينة سنة تسع وثلاثين ومائة وألف بعد وفاة (عبد الله بن معمر) صاحب العيينة فى الوباء الذى وقع بها فأفناها، وتولى فيها بعده ابن ابنه (محمد بن حمد) الملقب بخرفاش، فوقع بينه وبين الشيخ عبد الوهاب منازعة فعزل الشيخ عبد الوهاب عن قضاء بلد العيينة، وجعل مكانه (احمد بن عبد الله) بن عبد الوهاب بن عبد الله

(١) فى عنوان المجد لابن بشر النجدى (١ : ١٢) : «فضاعت نفقته» فتدبر!

(٢) فى عنوان المجد «عبد الله بن عبد اللطيف».

النجدى قاضيا، فانتقل الشيخ عبد الوهاب الى بلد حريملة، ولما وصل الشيخ محمد الى بلد حريملة لازم أباه وقرأ عليه، وأظهر الانكار على أهل نجد فى عقائدهم فوقع بينه وبين أبيه منازعة وجدال وكذلك وقع بينه وبين الناس فى بلد حريملة جدال كثير فأقام على ذلك مدة سنين حتى توفى أبوه الشيخ عبد الوهاب سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف. ثم أعلن الشيخ محمد بالدعوة والانكار على الناس، وتبعه أناس من أهل حريملة، واشتهر بذلك. وكان رؤساء بلد حريملة قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة وكل منهما يدعى الرئاسة، وليس فى البلد رئيس يحكم على الجميع، وكان لاحدى القبيلتين عبيد يقال لهم (الحميان) وهم من أهل الفساد، فأراد الشيخ محمد أن يمنعهم من فسقهم وفجورهم، وأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، فهم العبيد ليلا بقتل الشيخ محمد خفية، فلما تسوروا عليه من وراء الجدار علم بهم بعض الناس فصاحوا بهم وهربوا، فانتقل الشيخ محمد من حريملة الى بلد العيينة ورئيسها يومئذ (عثمان بن حمد بن معمر) فتلقاه بالقبول وأكرمه، وحاول نصرته وقال لعثمان : إنى أرجو إن أنت قمت بنصر «لا إله إلا الله» أن يظهرك الله وتملك نجداً وأعرابها، فساعده عثمان فأعلن الشيخ محمد بالدعوة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وشدد فى النكير على الناس فتبعه بعض أهالى العيينة، وقطع أشجاراً كانت تعظم فى تلك النواحى، وهدم قبة قبر (زيد بن الخطاب) رضى الله عنه التى عند الجبيلة، فعظم أمره، فبلغ خبره الى (سليمان بن محمد بن عزيز الحميدى) صاحب الاحساء والقطيف وماحوله من العربان، فأرسل سليمان كتاباً الى عثمان، وكتب فيها : «إن المطوع الذى عندك قد فعل مافعل وقال ماقال فاذا وصلك كتابى فاقتله، فان لم تقتله قطعنا خراجك الذى عندنا فى الاحساء» وكان خراجه ألفاً ومائتين ذهباء، ومايتبعها من طعام وكسوة.

فلما ورد الكتاب الى عثمان لم تسعه مخالفته أرسل الشيخ محمد وأخبره بكتاب سليمان، وقال له : لاطاقة لنا بحرب سليمان، فقال الشيخ محمد له : إنك إن نصرتني ملكت نجداً، فأعرض عنه عثمان، وأرسل اليه ثانياً ان سليمان قد أمرنا بقتلك، ولانستطيع مخالفته، ولاطاقة لنا بحربه، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلدنا، فشأنك ونفسك وخل بلادنا، فأمر فارساً يقال له (الفريد) باخراجه من البلد، فركب الفارس جواده والشيخ يمشي على رجليه أمامه وليس معه إلا المروحة وذلك في أشد الحر من الصيف، فهم الفارس بقتله في الطريق، فكف الله تعالى يده عنه لما أصابه من الرعب والخوف العظيم وخلى سبيل الشيخ.

قيل ان عثمان بن معمر هو الذى أمر الفارس بقتل الشيخ، وكذب بعضهم ذلك.

فسار الشيخ محمد الى الدرعية، وكان ذلك سنة ستين بعد المائة والألف، ووصل اليها وقت العصر فنزل في بيت (عبد الله بن سويلم العريني) فلما دخل عليه ضاقت عليه داره، وخاف على نفسه من محمد بن سعود صاحب الدرعية، فوعظه الشيخ، وسكن جأشه وروعه، وقال : سيجعل الله لنا ولك فرجاً، فاستقر فأراد أن يخبر محمد بن سعود بحاله ويرغبه في نصرته، فالتجأ إلى أخويه (مشارى) و(ثنيان) ولدى سعود، وزوجته (موضى بنت أبي وحطان) من آل كثير، وكانت ذات عقل وفهم، فأخبروها بحال الشيخ وصفته[١] من الحث على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقذف الله تعالى محبة الشيخ في قلبها فأخبرت زوجها محمد بن سعود وقالت له : إن هذا الرجل أتى اليك وهو غنيمة ساقها الله تعالى اليك، فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته، فقبل قولها، وألقى الله تعالى محبته

---

(١) في الاصل : وصلته.

في قلبه، ورغبوا محمد بن سعود لزيارته لعل ذلك يكون سببا لتعظيم الناس له وإكرامه؛ فسار محمد بن سعود اليه فلما دخل عليه في بيت ابن سويلم رحب به وقل أبشر بالخير والعز والمنعة. فقال له الشيخ : وأنا أبشرك بالعز والتمكين والغلبة على جميع بلاد نجد، وهذه كلمة «لا إله إلا الله» من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول مادعت اليه الرسل من أولهم الى آخرهم. ثم أخبره الشيخ كان عليه رسول الله ﷺ، ومادعا اليه، وماعليه أصحابه من بعده في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى، وبأن كل بدعة ضلاله؛ وأخبره أيضا بما عليه أهل نجد من البدع والجور والاختلاف والظلم.

فلما تحقق (محمد بن سعود) المصالح الدينية والدنيوية فيما ذكره الشيخ؛ قبل ذلك، وقال له : يا أيها الشيخ! إن هذا دين الله ورسوله (ﷺ) الذي لاشك فيه، فابشر بالنصرة لما أمرت به، وبالجهاد مع من خالفك؛ ولكن أشترط عليك شرطين : الأول إذا نحن قمنا بنصرتك، والجهاد في سبيل الله تعالى وفتح الله لنا البلاد؛ فلا ترحل عنا ولاتستبدل بنا غيرنا. والثاني ان لي على أهل الدرعية خراجاً آخذه منهم وقت الثمار، فلا تمنعني من أخذ منهم. فقال له الشيخ : أما الأولى فأمدد يدك. فمدها وقبضها وقال له : الدم بالدم والهدم بالهدم؛ وأما الثانية فلعل الله تعالى يفتح عليك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ماهو خير منه. فبايع محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى استقامة الشعائر؛ فقام الشيخ ودخل معه البلد فلما استقر في الدرعية أتى اليه من البلاد من كان ينتسب اليه من رؤساء (المعامرة) وغيرهم، وهاجر الى الدرعية من حول عثمان بن معمر من الناس لما علموا نصرة الشيخ.

فلما علم عثمان بن معمر صاحب العيينة أن محمد بن سعود قد نصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن أهالي الدرعيه أيدوه وفرحوا به، وأنه هاجر اليه من كان في بلده، وأن أمره قد تأيد، ندم على مافعل من اخراج الشيخ محمد من بلده، وعدم نصرته، وخاف على نفسه عواقب الامور فركب مع عدة رجال من أهل العيينة ورؤسائها، وسار الى الشيخ محمد. فلما قدم عليه حثه على الرجوع معه، ووعده بالنصرة، فقال الشيخ : الامر مفوض الى محمد بن سعود فان رخصني على الرجوع معك فقد ذهبت معك، وان اراد الاقامة عنده أقمت، ولا أستبدله بغيره وقد تلقاني بالترحيب والقبول والنصرة، إلا أن يأذن لي، فأتى عثمان بن معمر الى محمد بن سعود يسترخص للشيخ الذهاب، فأبى عليه ولم يجد عثمان الى ما أتى اليه سبيلا، فرجع الى بلده، وندم ندماً عظيما.

وكان أهل الدرعية يومئذ في غاية الضيق والحاجة، وكانوا يحترفون لاجل معاشهم، ومع ذلك فقد كانوا يجتمعون في مجلس الشيخ لسماع الحديث والوعظ، ويلازمون على ذلك.

قال الفاضل ابن بشر النجدي في تاريخه[١] : ولقد شاهدت ضيقهم في

---

(١) يلاحظ : ان الاستاذ قد تصرف في عباده ابن بشر وأوردها مختصرة ولكن قوله «ولقد شاهدت ضيقهم في أول الامر» لم أعثر عليه في كتابه، وهو يوهم أنه كان في زمن الامام محمد بن عبد الوهاب رضي الله عنه وليس الامر كذلك ...
وعبارة ابن بشر في كتابه عنوان المجد (ج ١ ص ١٦ و ١٧) الذى طبع الجزء الأول منه في بغداد سنة ١٣٢٨ هـ : «ولما كثر الوافدون عند الشيخ ضاق بهم العيش وشدة الحاجة وابتلوا في ذلك أشد بلاء فكانوا في الليل يحترفون ويأخذون الاجرة، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس التفسير والحديث والفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله، ويتذاكرون بعقائد السلف الى ان اتاه الله بالرازق الواسع بعد الشدة والامتحان، ولقد رأيت الدرعية بعد ذلك في زمن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى ومافيها من الاموال وكثرة الرجال والسلاح المحلى بالذهب والفضة.. الخ الخ» فتدبر!

أول الامر ثم رأيت الدرعيه بعد ذلك فى زمن سعود وما عند أهلها من الاموال الكثيرة وكثرة الاموال والاسلحة المحلاه بالذهب والفضة والخيل الجياد والنجائب العمانيات والملابس الفاخرة وغير ذلك من أسباب الثروة التامة بحيث يعجز عن عده اللسان، ويكل عن تفصيله البيان، ونظرت الى موسمها يوماً في الموضع المعروف بالباطن فرأيت موسم الرجال فى جانب وموسم النساء فى جانب آخر، فرأيت من الذهب والفضة والاسلحة والابل والغنم والخيل والالبسة الفاخرة واللحم والحنطة وسائر المآكل مالا يمكن وصفه . والموسم ممتد مد البصر. وكنت أسمع أصوات البائعين والمشترين وقولهم بعت واشتريت كدوي النحل فسبحان من لايزوال ملكه.

ولما استوطن الشيخ محمد فى الدرعية وكان أهلها فى غايه الجهالة والتهاون بالصلاة والزكاة وشعائر الاسلام، علمهم الشيخ معنى «لا إله إلا الله» وانها نفي واثبات فلا إله ينفى جميع المعبودات وإلا الله يثبت العبادة لله وحده لاشريك له. ثم علمهم أصولا وهى معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته وآلهيته كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والأرض وبسائر الأدلة كالقرآن ومعرفة الاسلام وأنه تسليم الامر لله تعالى والانقياد لأوامره، والانزجار عن مناهيه، ومعرفة أركان الاسلام التى بنى عليها، وما عليها من الأدلة كالقرآن ومعرفة النبىﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته، ومعرفة أول مادعا إليه وهو كلمة لا إله إلا الله، ومعرفة البعث وأن من أنكره أوشك فيه فهو كافر وماعلى ذلك من الدلائل، ومعرفة دين محمد ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم وهو التوحيد وسائر العبادات، وبالغ فى منع الاستغاثة بمخلوق كائناً من كان.

فلم استقر ذلك فى قلوبهم بعد الجهالة أشرب فى قلوبهم حب الشيخ. ثم

إنه كتب الى أهل بلاد نجد والى رؤسائهم وقصاتهم : يطلب الطاعة والانقياد. فمنهم من أطاعة ومنهم من عصاه، واتخذه سخريا، واستهزأ به، ونسبه الى الجهل وعدم المعرفة؛ ومنهم من نسبه الى السحر، ومنهم من رماه بأشياء قبيحة.

ثم أمر الشيخ أهل الدرعية بالمقاتلة معهم فامتثلوا أمره، وقاتلوا أهل نجد والاحساء دفعات كثيرة الى أن أدخلوهم الى طاعتهم، وحصلت إمارة بلاد نجد وقبائلها جميعاً (لآل سعود) بالغلبة.

وكان الشيخ كثير بالعطايا بحيث كان يهب ماغنمه الجيش مع كثرته الى رجلين أو ثلاثة[١]، وكانت الغنائم تسلم بيده، ثم هو يضعها حيث يشاء، ويعطيها الى من يشاء، ولا يأخذ أمير نجد شيئاً من ذلك إلا بأمره، ولايصدر جيش ولا يكون رأى للامير إلا بقوله ورأيه، وكانت طاعة أهل نجد للشيخ كطاعة الصحابة للنبىﷺ، ولم يتفق لأحد من العلماء مثل ما اتفق من طاعه القوم وانقيادهم لأمره، وذلك من العجائب، وهو عندهم بمنزلة أحد الأئمة الأربعة الى يومنا هذا، واذا ذكره أحد بسوء قتلوه.

ولما فتحوا الرياض من بلاد نجد، واتسعت بلادهم، وأمنت الطرق، وانقاد لهم كل صعب، فوض الشيخ أمور الناس وأموال الغنائم الى عبد العزيز الامير وأنسلخ الشيخ، وتفرغ للعبادة وتعليم العلم، ولكن لايقطع عبد العزيز الامير ولا أبوه[٢] أمراً ولاينفذ حكما إلا بإذن الشيخ محمد.

وتوفى الشيخ المشار اليه سنة ست بعد المائتين والألف، وهي السنة التي غزا فيها (سعود بن عبد العزيز) ناحية جبل شمر، وأخذ أهله، وكسب منهم

---

(١) كذا وفي تاريخ ابن بشر «وكان يعطي الجزيل بحيث أنه يهب خمس الغنيمة العظيمة لاثنين أو ثلاثة .... الخ».

(٢) في تاريخ ابن بشر (ج ١ ص ١٨) «محمد وابنه عبد العزيز».

أموالا كثيرة منها ثمانية آلاف بعير، وقتل منهم عدة رجال فأخرج خمسها وقسم الباقي عل جيشه.

وكان الشيخ محمد من بيت علم في نواحي نجد. وكان أبوه الشيخ (عبد الوهاب) عالماً فقيهاً على مذهب الامام احمد. وكان قاضياً في بلد (العيينة) ثم في بلد (حريملة) وذلك في أول القرن الثاني عشر. وله معرفة تامة بالحديث والفقه وغيرهما وله أسئلة وأجوبة. وكان والد عبد الوهاب (الشيخ سليمان) عالماً فقيهاً بل أعلم علماء نجد في عصره، وله اليد الطولى في العلم. وانتهت اليه رياسة العلم في نجد: صنف ودرس وأفتى، الا أن (الشيخ محمد) لم يكن على طريقة أبيه وجده، بل كان شديد التعصب للسنة، كثير الانكار على من خالف الحق من العلماء.

والحاصل: انه كان من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين، ويأمر بالجماعات. وقد جد في تعليم الناس، وحثهم على الطاعة، وأمرهم بتسليم أصول الاسلام وشرائطه وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها، وسائر أحكام الدين. وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد العشاءين في معرفة الله تعالى ومعرفة دين الاسلام ومعرفة أركانه وماورد عليه من الادلة. ومعرفة النبي محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته وأول مادعا اليه من كلمة التوحيد وسائر العبادات التي لاتنبغي الا الله تعالى كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والانابه وغير ذلك، فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلا بأحكام دين الاسلام بل كلهم تعلموا ذلك الى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها الا الخواص منهم. وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة.

وله من التصانيف كتب كثيرة. منها: كتاب التوحيد، وتفسير القرآن.

وكتاب كشف الشبهات. وغير ذلك من الرسائل والفتاوى الفقهية والاصولية. أخذ العلم عن عدة مشايخ، منهم : (والده) والشيخ (محمد بن حياة السندى المدنى) والشيخ (عبد الله بن سيف) وغيرهم. ويقال إنه قدم الى (بغداد) وأخذ أيضا عن (صبغة الحيدرى).

وأعقب أربعة أولاد كلهم من أجله العلماء. وهم الشيخ (حسين) والشيخ (عبد الله) والشيخ (على) والشيخ (ابراهيم) تغمدهم الله برحمته أجمعين أمين.

﴿ تم الكتاب ﴾

فهرس